

أنا هو . . . فمن أنت؟

عبارة أنا هو في أصل بوخنا

خبز الحياة
نور العالم
الراعي الصالح
الباب

أنا هو

القيامة والحياة
الطريق والحق والحياة
الكرمة الحقيقية

تأليف الفس الدكتور

حنا كتناشو

أنا هو . . فمن انت؟

عبارة "أنا هو" في انجيل يوحنا

القس الدكتور حنا كتناشو

فلسطين، 2007

حقوق الطبع والنشر محفوظة للكاتب

اهدي هذا الكتاب لأبي وأمي
عيسى وبرجوهي كتناشو
وايضا لوالدي نقولا وسهيلا خوري
الذين اعطيانى افضل زوجة في العالم

المحتويات

5	مقدمة
9	الفصل الأول : أنا هو خبز الحياة
16	الفصل الثاني: أنا هو نور العالم
24	الفصل الثالث: أنا هو الراعي الصالح
35	الفصل الرابع: أنا هو الباب
43	الفصل الخامس: أنا هو القيامة والحياة
52	الفصل السادس: أنا هو الطريق والحق والحياة
67	الفصل السابع: أنا هو الكرمة الحقيقية
76	الفصل الثامن: أنا هو .. فمن انت؟
85	المراجع

مقدمة

قال المهاتما غاندي للمبشر ايلي ستانلي جونز: "أنا لا ارفض مسيحيكم. احب مسيحيكم ولكني الاحظ ان الكثير من المسيحيين ليسوا مثل مسيحيهم".¹ وهكذا تساءل غاندي عن علاقة المسيحية بالمسيح. يذكرنا غاندي بحقيقة جوهرية: مسيحيتنا هي مسيحننا. ويؤكد جونز ان المسيح هو جوهر المسيحية. فمن غير المسيح لا يوجد مسيحية. ومن غير إدراك صحيح لهويته تضعيع هويتنا. لهذا يتحدث هذا الكتاب عن هوية يسوع في انجيل يوحنا وخاصة من خلال عباراته السبع التي تبدأ بقوله "أنا هو". أملنا ان تساهم دراستنا لأقوال المسيح السبعة المكتوبة ادناه في مساعدتنا على اكتشاف سمات مهمة في هوية المسيح وبالتالي على فهم مسيحننا ومسيحيتنا.

لقد درست اقوال المسيح في انجيل يوحنا وكان لي امتياز عظيم ان ادرس في برنامجي الماجستير والدكتوراة في الدراسات اللاهوتية بإشراف البروفيسور د. ا. كارسون الذي يُعد من افضل علماء العهد الجديد في العالم الانجيلي. وبعد ان جلست في مساقاته التعليمية (كورساته) وقرأت العديد من كتبه خاصة كتابه عن انجيل يوحنا الذي قرأته عدة مرات واستخدمته في التعليم في كلية بيت لحم للكتاب المقدس في مدينتي بيت لحم والناصره، نما حبي لانجيل يوحنا وتقديري لعمق آياته وصارت افكار استاذي الجليل كارسون جزءا مني.² ومع استحالة الاعتراف بكل النقاط التي ادين له بمعرفتها فإني اقدم له جزيل الشكر

¹ اكد ستانلي جونز ان المسيحية هي المسيح. وهي ليست العهد القديم او الحضارة الغربية. للمزيد من المعلومات راجع E. Stanley Jones, *Mahatma Gandhi: An Interpretation* (Lucknow: Lucknow Publishing House, 1948), 36; E. Stanley Jones, *The Christ of the Indian Road* (New York: Abingdon Press, 1925), 16-17; Richard Taylor. "The Legacy of E. Stanley Jones," *IBMR* 6 (1982): 102-107.

² تأثر فكري ايضا بالمراجع التالية التي استخدمتها اثناء تعليمي لأنجيل يوحنا: وليم إدي، شرح انجيل يوحنا (الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، الجزء الثالث؛ بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973)؛ ميرل تيني، يوحنا انجيل الإيمان: دراسة تحليلية للنص الكتابي (ترجمة هاني غبريال؛ جراند رابيدز: ايردمان، 1991)؛ أ. ماكلود، "انجيل يوحنا"، في تفسير الكتاب المقدس (تقيق فرانسيس دافسن؛ الجزء الخامس؛ بيروت: مركز المطبوعات، 1954)، 228-298؛ ابراهيم سعيد، شرح بشاره يوحنا (القاهرة: دار الثقافة، 1988)؛ فايز فارس، احاديث الرحيل: قطوف من انجيل يوحنا (القاهرة: دار الثقافة، 1993)؛ بولس الفغالي، انجيل يوحنا: دراسات وتأملات (الجزء الثاني من دراسات ببليوية؛ بيروت: الرابطة الكتابية، 1992)؛ ولكني اعتمدت بشكل رئيسي على كتاب د. ا. كارسون. للمزيد من المعلومات راجع D. A. Carson, *The Gospel According to John* (Grand Rapids: InterVarsity, 1991).

واعترف انه لولا مساهمته في تشكيل فكري ما كان ممكنا اصدار هذا الكتاب.³ ولكن رغم تأثيري واعجابي بكارسون إلا انني اتحمل المسؤولية الكاملة عن كل ما خط في هذا الكتاب.

واود ايضا ان اشكر المحامي بطرس منصور المدير العام للمدرسة المعمدانية في الناصرة والقس عماد خوري على مساعدتهما القيّمة ونقدهم البناء. وبالطبع، اشكر الله الذي اعطاني امتياز تعليم ووعظ سفر يوحنا في الكنائس المختلفة في استراليا وامريكا والشرق الاوسط. فلقد ساعدتني هذه العظات ان اضع لاهوت انجيل يوحنا في إطار الصلاة وحث شعب الرب وخاصة الكنيسة العربية على طاعته وتشجيع امتداد ملكوته. في ضوء ما سبق، يسرني ان اقدم لكم بعض ثمار بحثي المتعلقة بعبارة "انا هو" في انجيل يوحنا.⁴

سأقدم في هذا الكتاب سبعة فصول او عظات تشرح اقوال يسوع السبعة في انجيل يوحنا والنصوص التي ترتبط بها. تبدأ الاقوال السبعة بالعبارة "أنا هو". ويذكر انجيل يوحنا مصطلح "انا هو" في مواضع عديدة. على انه ليس كل استخدام لهذه العبارة له قيمة لاهوتية عميقة. فمثلا يقول المولود اعمى "انا هو" (يو 9: 9). وبحسب علمي لا يوجد مفسر يقول ان المولود اعمى يدّعي الألوهية. فالنص في الكتاب المقدس يبين ان المولود اعمى يؤكد على حقيقة هويته ولا يدّعي انه الها. لهذا فإن مفهومنا لعبارة "انا هو" في انجيل يوحنا مستمد من سياق الكلام وليس من فكر مسبق قد يفرض عنوة على النص.

³ من المناسب ان اذكر ايضا الكتب التالية التي ساهمت في ايضاح العديد من القضايا الشائكة في انجيل يوحنا: George Raymond Beasley-Murray, *John* (ed. Bruce Metzger, David Hubbard, and Glenn Barker; WBC 36; Waco, Tex.: Word Books, 1990); C. L. Blomberg, *The Historical Reliability of John's Gospel* (Grand Rapids: InterVarsity Press, 2001); Gary M. Burge, *Interpreting the Gospel of John* (Grand Rapids: Baker, 1992).

⁴ اشجع القارئ ان يميز بين الاقوال التي تبدأ بالعبارة "أنا هو" ثم تتوسع فيها قائلة انا هو خبز الحياة، او انا هو نور العالم، او انا هو الباب، الخ، وبين العبارة التي تستخدم القول "انا هو" بدون ان تتوسع في الشرح. فمثلا يقول المولود اعمى عندما شك الجيران في هويته "إني انا هو". استخدم "انا هو" بدون اضافة كلمة او عبارة او جملة بعدها. ويستطيع القارئ المهتم بالعبارة "انا هو" او ايجو ايمي (ἐγὼ εἰμι) في انجيل يوحنا ان يراجع الاعمال التالية:

K. L. McKay, "I am' in John's Gospel," *ExpTim* 107 (1996): 302-303; Henry K. McArthur, "Christology in the Predicates of the Johannine Egō Eimi Sayings," in *Christology in Dialogue* (ed. Robert Berkey and Sarah Edwards; Cleveland: Pilgrim Pr, 1993), 122-141.

ويوجد في انجيل يوحنا سبعة اقوال "انا هو" مع ايضاح يتبعها وهي: انا هو الخبز (يو 6: 35، 41، 48، 51)، انا هو نور العالم (يو 8: 12)، انا هو الباب (يو 10: 7، 9)، انا هو الراعي (يو 10: 11، 14)، انا هو القيامة والحياة (يو 11: 25)، انا هو الطريق والحق والحياة (يو 14: 6)، وأنا هو الكرمة (يو 15: 1، 5). ويستخدم المسيح العبارة "انا هو" في مواضع اخرى من انجيل يوحنا ولكن بدون ايضاح يرتبط بالعبارة "انا هو" (يو 4: 26 / 6: 20 / 8: 18، 24، 28، 58 / 13: 19 / 18: 5، 6، 8).⁵

ستتمحور فصول هذا الكتاب على الاقوال السبعة المذكورة اعلاه وتشرح خلفياتها التاريخية والادبية واللغوية واللاهوتية دون اهمال التطبيقات العملية في حياة القارئ. ثم ساقدم فصلا ثامنا اشرح فيه كيف اثر المسيح على حياتي وقادني من الإلحاد إلى الايمان ومن الكراهية إلى المحبة.

لا يستغرب قارئ انجيل يوحنا من اختياري لسبعة فصول تشرح سبعة اقوال من انجيل يوحنا. فهذا الانجيل يتميز بعدة سُبُاعيات. اولاً، يحدثنا يوحنا عن سبع آيات. يستخدم يوحنا في سفره كلمة "آية" اي لافتة او إشارة مثل اللافتات التي ترشد السائق إلى مكان ما. يتحاشى يوحنا كل الكلمات الأخرى، فهو لا يُحبذ كلمة "معجزات" اي ما يعجز الإنسان عن صنعه. ولا يتحدث عن قوات فهو لا يفحص القوات المسيحانية او يصب جُل اهتمامه على الامور الخارقة للطبيعة. ولا يتحدث عن عجائب فهو لا يسترسل في وصف مدى تعجب الناس من اعمال المسيح. بل يذكر يوحنا سبع آيات: تحويل الماء إلى خمر، وشفاء ابن خادم الملك، وشفاء مريض بيت حسدا، واطعام خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والاولاد، والمشي على الماء، وشفاء المولود اعمى، وإقامة لعازر من بين الأموات. وقد كتب يوحنا هذه الآيات ليؤمن الناس ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكي يحصلوا على الحياة بواسطة الإيتمان به (يو 20: 31). اراد يوحنا ان يعرف الناس هوية المسيح ويؤمنوا به ويحصلوا على الحياة الابدية.

ثانياً، ترتبط الآيات السبع بسبعة خطابات.⁶ فعرس قانا الجليل يرتبط بحوار يسوع مع نيقوديموس، وشفاء ابن خادم الملك بحديث يسوع مع المرأة السامرية، وشفاء مريض بيت حسدا يوم

يستخدم النص اليوناني في انجيل يوحنا سبع عبارات "انا هو" مع وضع الخبر. واما بقية عبارات "انا هو" في انجيل يوحنا⁵ فتفتقر إلى الخبر.

⁶J. C. Morris, *Jesus is the Christ: Studies in the Theology of John* (EBC 12; Grand Rapids: Intervarsity Press, 1989), 23.

السبت بحوار يسوع مع اليهود حول عمل الآب والابن، واطعام الجموع بخطاب خبز الحياة، والمشي على الماء باعلان يسوع المتعلق بجريان انهار ماء حي، وشفاء الاعمى بقول يسوع انه نور العالم، وإقامة لعازر من بين الأموات بتعليم يسوع عن الراعي الصالح.

ثالثاً، يذكر كتاب الآيات (يوحنا 1 - 12) سبع محاولات لقتل يسوع. طلب اليهود ان يقتلوه عندما شفا المريض الذي كان مضطجعا عند بركة بيت حسدا. لقد ابرأه المسيح يوم السبت وطلب منه ان يحمل سريره ويمشي. لهذا طرد اليهود المسيح وطلبوا ان يقتلوه (يو 5: 16). ولكن المسيح مضى إلى بحر الجليل (يو 6: 1) ثم عاد إلى اليهودية في عيد المظال (يو 7: 2 ، 10). لم ينس اليهود ان المسيح شفا إنسانا في السبت فحاولوا ان يمسكوه ثانية ويقتلوه (يو 7: 20 - 30). ومن الجدير بالملاحظة انه عندما شفا المسيح مريض بيت حسدا يوم السبت اعلن ان الله نفسه يعمل كل ايام الاسبوع. وقال ايضا إن الله ابوه فصمم اليهود ان يقتلوه لأنه عادل نفسه بالله (يو 5: 17 - 18). وتكررت محاولات قتل المسيح بسبب ادعائه الألوهية. فنجد في انجيل يوحنا ثلاث محاولات اخرى لقتل المسيح (يو 8: 58، 10: 30 - 31، 10: 39). واخيرا قرر مجمع رؤساء الكهنة والفريسيين قتل المسيح لأنه اقام لعازر من بين الاموات وكسب تأييد الجموع (يو 11: 47 - 53).

رابعا، يصف يسوع نفسه بأنجيل يوحنا بسبعة اقوال تبدأ بالعبارة "أنا هو" وتنتهي بخبر يوضح هوية المسيح. قال يسوع أنا هو الخبز، أنا هو النور، أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح، أنا هو القيامة والحياة، أنا هو الطريق والحق والحياة، وأنا هو الكرمة الحقيقية. تعبر هذه الاقوال عن هوية المسيح وجوه مسيحيتنا. لهذا دعونا نتأمل فيها معا.⁷

⁷ هناك ابحاث عديدة تتحدث عن العبارة "أنا هو" بدون ربطها بالخبر. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول فريد (Freed) ان ايجو ايمي قد تكون جزءا من تقليد مسيحي يؤكد ان يسوع هو المسيا. للمزيد من المعلومات، راجع Edwin D. Freed, "Egō Eimi in John 1:20 and 4:25," *CBQ* 41 (1979): 288-291; Edwin D. Freed, "Who or What Was before Abraham in John 8:58," *JSNT* 17 (1983): 52-59.

الفصل الأول

أنا هو خبز الحياة (يو 6: 35)⁸

في احد الأيام جاءني صديق عند المساء بينما كنت اتعشى. فدعوته ان يشاركني الطعام. قال لي تناولت طعام العشاء قبل قدومي اليك. ولكنه غير رأيه بعد الحاحي عليه. وقال لي: "تعشيت في البيت ولكنني "سأطأطأ" معك". سأتناول شيئاً يسيراً لأجل المسايرة الاجتماعية. خلال بضع دقائق، التهم صديقي اكثر من ستة ارغفة وكان لا يزال يمزغ الطعام. تدفقت المأكولات إلى فمه كدخول قطار سريع إلى نفق عميق. فتعجب والذي من ذلك الأمر، وقال له: "في المرة القادمة 'طأطأ' في البيت وتعال وتعشى عندنا". ضحكنا سوياً على هذا الأمر. فيبدو ان الطعام كان شهياً وتمتع صديقي بالتهام الطعام.

وقبل عدة أيام حدث امر آخر معي له علاقة بالطعام الشهي. فقد حضرت جنازة في احدى قرى الجليل. وكان هناك العديد من الرجال والنساء. وقد جلس الرجال في حلقة وحدهم والنساء في حلقة اخرى ولكننا كنا جميعاً في قاعة واحدة. وبدأ بعض الرجال الدروز في إلقاء الخطب وتبعهم بعض الرجال المسيحيين والقوا خطبا عن مكارم اهل الفقيد وعن التعاضد الاجتماعي وشكروا الذين جاءوا للعزاء. شعرت في قلبي ان اهل الفقيد لم يتعزوا. فكل الخطب لم يُوجد فيها رجاء حقيقي لأنها لم تتحدث عن المسيح. امتلأت من نعمة الله وبدأت القي خطبة عن الرب يسوع متحدثاً فيها عن العزاء الحقيقي الذي نجده في المسيح. عندما انتهيت، شكرني جد الفقيد بحرارة وقال لي "كلامك شهى". لقد اطعمه الله من خبز المسيح عندما كان جائعاً إلى التعزية. وأنا اعلم ان العديد منا جائعون إلى كلمة من الله، كما إلى التشجيع والتعزية، والقيامه من حالة اليأس. اقول لكل قارىء جائع ان يسوع هو الخبز. فدعونا نتأمل سوياً في قصة اشباع الجموع والحديث عن خبز مكوّن من اللحم والدم.

والآن، سنعيد رواية قصة تكثير الخبزمدققين في انواع الجوع الموجودة وكيف يسد خبز المسيح

جوعنا.

⁸ كل الآيات في هذا الكتاب مقتبسة من ترجمة الفاندايك إلا إذا اشرنا إلى غير ذلك. ونجد عبارة انا هو الخبز (ايجو ايمي هو ارتوس - ἐγώ εἰμι ὁ ἄρτος) في (يو 6: 35، 41، 48، 51).

الجوع السياسي (يو 6: 1 - 15)

تبع المسيح جمع كبير لأنهم رأوا آياته. واحتاج هذا الجمع إلى الخبز. قال تلميذ المسيح فيلبس لن يكفهم خبز بمئتي دينار. فلو جمع عامل أجرته لمئتي يوم ليحصل على مئتي دينار فلن يستطيع ان يطعم هؤلاء الجموع شيئاً يسيراً ولو لمرة واحدة فقط.⁹ فكم بالحري لعدة وجبات؟ ولكن ما اعجب ترتيب الله الذي يختار الامور الصغيرة والمزدرى بها ليحقق مقاصده العظيمة. اختار الله غلاما معه خمسة ارغفة شعير وسمكتان، اي معه خبز الفقراء وليس القمح الخبز الأغلى ثمنا ومعه سُميكتان فالمرجح أن الكلمة اليونانية اوبساريا تعني هنا سمكة صغيرة. وبعدها اخذ يسوع الارغفة وشكر قائلا "مبارك انت يا رب ملك العالم المخرج خبزا من الارض"،¹⁰ وزع على التلاميذ وهم بدورهم اعطوا الخبز للجموع لسد جوع المعدة عند الناس. ولكن الجمع ما زال جائعا إلى الحرية السياسية. فلقد كانوا تحت الاحتلال الروماني وكانوا ينتظرون المسيا الذي سيرد المُلْك لإسرائيل. فكيف سيفعل المسيح ذلك؟ وما هو عدد جنود المسيا الذين سيحاربون الرومان؟ يذكر يوحنا أن عدد الرجال والنساء والاطفال معا تجاوز العشرين الف شخص. وقد ثورة المسيح. ونستطيع ان نقول أن عدد الرجال والنساء والاطفال معا تجاوز العشرين الف شخص. وقد ارادوا ان يجعلوا يسوع ملكا يهوديا (يو 6: 15). لم يقبل يسوع أن يُتَوَجَّ ملكا بهذه الطريقة. فبالرغم من التشابه بين احداث البرية زمن موسى واحداث البرية زمن المسيح إلا انه يوجد اختلاف كبير في مخطط الله. موسى هو المخلص السياسي لشعب مذلول من فرعون أما المسيح فلن يعلن حربا عسكرية ضد روما. كانت تجربة البرية الأولى هي بعد الخلاص السياسي من نير فرعون، أما تجربة البرية الثانية في يوحنا 6 - 8 فهي في زمن العبودية السياسية وتحت وطأة الاحتلال الروماني. اخذ الله شعب اسرائيل مرة اخرى إلى مصدر الخبز والماء والنور ولكنهم رفضوه ثانية اي رفضوا الله وخطته. وكما اخطأوا إلى الله في البرية الأولى سقطوا ايضا في البرية الثانية رافضين ابن الله الذي جاء ليخلصهم.

لقد اعطى الله شعبه، في البريتين، خبزا وماء ونورا. اطعم الله شعب موسى المن وقدم لهم الماء من الصخرة وكان يرافقهم عمود نار في الليل، إلا ان عطية الله في البرية الثانية اعظم جدا. فالمسيح هو الخبز الحقيقي من السماء (يو 6: 32) وهو مُعطي الماء الذي يصير انهار ماء حي (يو 7: 38) وهو مصدر نور العالم كله (يو 8: 12).

⁹يبين لنا انجيل متى أن اجرة العامل ليوم واحد هي دينار (مت 20: 2).

¹⁰الصلاة بالعبرية هي: باروخ اتا ادوناي إلهينو ميلخ هاعولام هاموتصيه ليخم من هآرتس.

لم يلاحظ الكثيرون من الشعب عظمة المسيح لأنهم كانوا مشغولين بتحرير اسرائيل من الرومان. لقد أدلت روما مجد الأمة الاسرائيلية وتاق الشعب إلى مخلص سياسي. أرادوا ان يستغلوا المسيح لتحقيق برنامجهم السياسي من طريق تسييس ابن الله، منتهزين بذلك الفكر الديني لتحقيق مآربهم السياسية. فوقعوا في ازمة تحديد الهوية. لا شك انه قد وجد توتر بين برنامج المسيح ومخططهم، وبين فكرهم السياسي وفكره. لقد وجدوا من يطعمهم ومن يقدر ان يحارب روما ويحررهم ولكنه يرفض مخططهم السياسي وتحليلهم الديني.

فما هي علاقة الدين بالسياسة او بالدولة؟¹¹ إن جزءا كبيرا من ازمة الكنيسة العربية مرتبط بعلاقة الدين بالسياسة. يعتبرنا البعض اعداء دولة اسرائيل وبالتالي اعداء الله. فهويتنا السياسية لها ابعاد دينية. ويعتبرنا آخرون جزءا من المسيحيين الذين يدعمون اسرائيل واصدقاء المسيحانيين (اليهود المؤمنين بالمسيح)، فيطربون ويفرحون بقيمتنا الدينية بناء على هويتنا السياسية.

بكلمات اخرى، نادى البعض بدمج كلي بين الدين والسياسة فصارت المواقف الدينية مواقف سياسية واكتست القرارات السياسية بحلة دينية. فعندما يتحدث بابا الكاثوليك عن مفهومه عن الإسلام فهو لا يعطي تفسيراً دينياً فقط بل موقفاً سياسياً لكنيسة لها سفراء سياسيون ودينون حول العالم. ونادى فريق آخر بفصل الدين عن السياسة. ونتج عن هذا الامر انعزال الكنيسة العربية الانجيلية عن واقع وآلام وحاجات شعوب المنطقة. اصف إلى ذلك، يستخدم الكثير من اخوتنا المسيحانيين الدين في خدمة السياسة. ويتطلب موقفهم ردا واضحا من الكنيسة العربية. فكيف تتصرف الكنيسة العربية إزاء علاقة الدين بالسياسة وخاصة انها تعيش في عالم يبرر المواقف السياسية بشروحات دينية.¹² إن الجواب المسيحي لهذا الأمر المهم وفلسفة علاقة المؤمن بالعالم موجود في يوحنا الاصحاح السابع عشر في ثلاثة احرف جر.

¹¹ يستطيع القارىء ان يتفحص المجلة المدعوة "بوليتيكل ثيولوجي" (Political Theology) التي اصدرت عددها الاول سنة 1999. تحوي المجلة على الكثير من المقالات التي تناقش علاقة السياسة بالدين. المحرر المسؤول عن المجلة هو جرايم سميث (Graeme Smith). واقترح ايضا قراءة كتاب اودونافان (O'Donovan) الذي يجمع بين اللاهوت السياسي (Political Theology) ولاهوت التحقيق النصوي (Theological Exegesis) والتفسير اللاهوتي للتاريخ (Theological Interpretation of History). للمزيد من المعلومات راجع:

Oliver O'Donovan, *The Desire of the Nations: Rediscovering the Roots of Political Theology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

¹² للمزيد من المعلومات، راجع

Yohanna Katanacho, "Christ is the Owner of Haaretz," CSR 34 (2005): 425-441.

اولاً، انتم في العالم. فلا يجب ان ننزل عن العالم او عن مشاكله السياسية والاجتماعية والثقافية. يجب ان نقرأ الجرائد ونفكر بالبرامج السياسية التي تطرحها الاحزاب المختلفة. وقد تشمل هذه البرامج قضايا اخلاقية او امورا متعلقة بالعدل والسلام والمحبة. ثانياً، انتم لستم من العالم. فبينما يشاركنا العالم نفس الاسئلة إلا ان اجوبتنا تختلف عن اجوبتهم. فمفهومنا عن الحرية، والمساواة، والعدالة، والسلام يجب ان يتمحور في هوية المسيح وإلا سنقع في الحيرة السياسية.¹³ وستكون عندنا ازمة في الهوية السياسية. ثالثاً، ارسلنا المسيح إلى العالم. فيجب ان نذهب الى العالم مقدمين الخبز الإلهي. إن اهمال اي جانب من هذه الجوانب سيقودنا إلى ازمة حقيقية في هويتنا السياسية. فلا نستطيع كما يقول البعض ان نترك مشاكلنا خارج الكنيسة بل يجب علينا أن نحضر كل تحديات حياتنا امام الله بالصلاة.

الجوع الاقتصادي (يو 6: 25 - 31، 34)

بعدما رفض المسيح ان يُخضع الدين للسياسة باسم النبوات والتوقعات البشرية، اصر ايضا على ابطال الرؤية الاقتصادية عند الجموع. فتعامل المسيح مع الجوع الاقتصادي والازمة في الهوية المالية عند الجموع التي اهتمت فكر الله ودعوته حاصرين جُل اهتمامهم في الطعام البائد (يو 6: 27). وتتلخص رؤية الجموع وحياتهم بالكلمات التالية: اكلتم، وشبعتم، وعلمتم للطعام البائد. انهم المجموعة التي تقول: "بطن ملان كيف تمام". او يقولون: "اقرب طريق إلى قلب الرجل معدته". يقولون ايضا: "اطعم الفم تستحي العين". فالفم هو طريق القرار. نلاحظ انهم يطلبون المسيح من اجل الخبز البائد ويفكرون في ايام الآباء حين كان عندهم خبز. يقولون: "آبائنا اكلوا المن في البرية" (يو 6: 31) اي كما نقول بالعامية: "الله يرحم أيام زمان" - ايام الخير. تريد هذه المجموعة الخبز في كل حين (يو 6: 34).

لن تشبع هذه الفئة لأنها خلطت بين حاجات الجسد ورغباته. فما نحتاجه يختلف عما نرغب به. ويسعى الكثير من الناس إلى زيادة مدخلهم الاقتصادي حتى وإن كان على حساب جوعهم إلى لحظة

¹³ركز البعض على السلام السياسي والاجتماعي متغاضين عن مفهوم السلام الكريستولوجي. فليس جوهر السلام في المسيحية انتهاء وتوقف الحروب بل القضاء الكامل على الخطية وسلطانها. لا يمكن ان ننال السلام الحقيقي بدون عمل المسيح الكفاري. للمزيد من المعلومات عن مفاهيم السلام في المسيحية والإسلام راجع محمود زقزوق، "السلام في التصور الإسلامي: مفهوم السلام في العالم وضرورته"، في سلام للبشر (تنقيح اندراوس بشته وعادل خوري؛ بيروت: المكتبة البولسية، 1997)، 67-95. غوتفريد فانوني، "جذور السلام في الكتاب المقدس والتقليد المسيحي"، في سلام للبشر (تنقيح اندراوس بشته وعادل خوري؛ بيروت: المكتبة البولسية، 1997)، 113-148. راجع ايضا Gottfried Vanoni, "Schalom als zentrale biblische Botschaft," *ThPQ 141* (1993): 3-12.

يقضونها مع الله أو المشاركة في مؤتمر روحي. هذه الفئة مثلها مثل الشاب الغني الذي وافق على الوصايا العشر وعلى حياة التدين ولكنه رفض أن يتبنى رؤية المسيح الاقتصادية التي تهدف إلى استخدام كل أموالنا في امتداد ملكوته وليس لأجل منحنا الضمانات المستقبلية (مت 19: 16 - 22). هذه الفئة مثلها مثل الغني الغبي الذي تملكه الطمع و اراد ان يأكل ويشرب ويفرح دون ان يفكر في رؤية الله الاقتصادية (لو 12: 13 - 21). فالرؤية الاقتصادية المؤسسة على الخوف وعدم الإيمان والأنانية واهمال حاجات الآخرين هي رؤية شريرة. وهي تتعارض مع مخطط الله وتخلق ازمة في هويتنا وفي هوية كنائسنا.

بكلمات اخرى، تسعى هذه الفئة إلى ايجاد هويتها في عملها للطعام البائد اي البركات الأرضية غير المؤسسة على المسيح الذي هو محور الحياة. إنها الفئة التي تهتم بما تأكل وبما تشرب وبما تلبس وبطولها وبوزنها وبحجم مخازنها وبيوتها ولكنها لا تعتني بالفقراء ولا بإنصاف المظلومين او المظلومات اللواتي يطردهن ازواجهن، ولا تتشد رفع اسم المسيح وكنيسته. لها قصور ولمدارس الاحد لا توجد دُمية بسيطة. لها عدة مدافىء ولا توجد مدفأة واحدة في بيوت العديد من الأرامل. لها حساب كبير في المصرف او البنك وهي تبخل على سد احتياجات الكنيسة ناهيك عن رغباتها المقدسة. صارت هذه الفئة تهتم برغباتها فقط واهملت حاجات الآخرين.

تذكرني هذه الفئة بقصة رجل غني دخل إلى بيت رجل حكيم. أخذه الحكيم إلى النافذة وقال له: "ماذا ترى؟" اجاب الغني قائلاً: "ارى رجالا ونساء واولادا يسيرون في الشارع". ثم اخذه الحكيم إلى المرأة وقال له: "ماذا ترى؟" استغرب الغني وقال: "ارى نفسي". قال له الحكيم: "ان الفرق بين الزجاج الاول والثاني هو قليل من الفضة. فعندما تكون كل اهتمامات حياتك في جمع المال ستصبح مثل المرأة ولن ترى إلا نفسك وستكره ما ترى وتكون عندك ازمة في هويتك".

الجوع اللاهوتي (يو 6: 41 - 65)

اضف إلى ما سبق، لا يتعامل المسيح فقط مع الفئات التي تبحث عن الخبز بسبب جوعها السياسي او الاقتصادي، بل يتعامل ايضا مع الذين وجدوا الخبز. لا شك انهم وجدوا الخبز ولكنهم لا يعرفون كيف يأكلونه ويتجادلون ويتذمرون على الطريقة التي يقضمون بها الخبز. سمعت مرة قصة تخيل فيها الراوي أنه يوجد طبق كبير في احدى الغرف في جهنم. يلتف حول الطبق العديد من الناس وتوجد معهم معالق كبيرة جدا. وبسبب كبر المعالق، لا يستطيع الشخص ان يطعم نفسه. فكيف سيأكلون؟ بقي الناس جائعين

بالرغم من وجود الطعام. لقد وجدوا الطعام ولكنهم لا يستطيعون ان يأكلوه لانهم انانيون لا يهتمون إلا بأنفسهم. فلو اطعم احدهم الآخر لشبع الجميع. هكذا البعض منا. عندنا الكلمة المقدسة. عندنا الكنائس الكثيرة. عندنا الترانيم. عندنا التاريخ العريق. عندنا المواقع الجغرافية المقدسة. ولكننا لا نستطيع ان نأكل منها. فهناك ازمة في هويتنا اللاهوتية بسبب انانيتنا وتقزيم الآخرين في سبيل رفع شأن انفسنا.

يشدد البعض على الاستحالة (Transubstantiation) فائلين ان الخبز والخمر يتحولان فعلا إلى جسد ودم المسيح ويجعلون هذه الاستحالة اساسا للعقائد والطقوس والشعائر الكنسية. ويقول البعض الآخر أن جسد المسيح ودمه يلزمان القربان ويتحدان به (Consubstantiation). وتقول فئة ثالثة أن الخبز هو رمز لجسد المسيح.¹⁴ قد تناقش هذه الفئات كيفية اكل الخبز وللأسف تنسى ان تأكل منه. لا اقصد ان تأكل من الخبز او القمح بل ان تأكل المسيح ذبيحة العهد مع الله. يقول يسوع: "أنا هو خبز الحياة من يقبل إلي فلا يجوع" (يو 6: 35). ونستطيع ان نصيغ كلمات المسيح بالصورة التالية: إن لم تأكلوني وتشربوني فليس لكم حياة فيكم (يو 6: 53). من يأكلني ويشربني له حياة. من يأكلني ويشربني يثبت في وانا فيه (يو 6: 54 - 58). لا يدعو المسيح إلى اكل لحوم البشر وشرب دمهم. ولا يدعو إلى كسر الشريعة التي تحرم اكل اللحم مع دمه (تك 9: 4 / لا 7: 26). ومن الواضح ايضا ان المسيح رفض التفسير الحرفي مقترحا ربط كلماته مع الروح والحياة (يو 6: 63). هناك دعوة فردية للأكل من الخبز وهناك حالة شبع في الآكلين. معالم حالة الشبع هي الإيمان المؤسس على المسيح وسكنى المسيح في حياة الآكل وثبات الآكل في تبعية المسيح. ويجب على الآكل ان يكون مثل المسيح الذي بذل نفسه باسم المحبة الإلهية وغسل رجلي يهوذا باسم هذه المحبة وسامح بطرس الناكِر للجميل الإلهي باسم نفس المحبة.¹⁵

¹⁴Millard Erickson, *Christian Theology: One Volume Edition* (Grand Rapids: Baker, 1985), 1115-1121; David S. Yeago, "The Bread of Life: Patristic Christology and Evangelical Soteriology in Martin Luther's Sermons on John 6," *SVTQ* 39 (1995): 257-279; Eleanor B. Hanna, "Biblical Interpretation and Sacramental Practice: John Calvin's Interpretation of John 6: 51-58," *Worship* 73 (1999): 211-230; Craig R. Koester, "John Six and the Lord's Supper," *LQ* 4 (1990): 419-437.

¹⁵دعوني اقولها بصراحة، بالرغم من ايمان الانجيليين ان معتقد الاستحالة هو غير صحيح وبالرغم من اهمية هذا الموضوع إلا أننا نستطيع ايجاد الكثير من الامور اللاهوتية المشتركة بين الطوائف المختلفة. ويبدو لي ان المشكلة الحقيقية هي أننا لا نبنى هويتنا اللاهوتية على المسيح الذي هو المحور وعلى عمله الكفاري. فنحن اهل الصليب امام كل العالم. نحن اهل الخبز الذي يُدَل من اجل العالم (يو 6: 51). لا نخاف من صلبان الضيق والاضطهاد لأننا نثق ان المسيح قد غلب العالم بقيامته المجيدة وانه سيبنى كنيسته وابواب الجحيم لن تقوى عليها.

في الختام، دعونا نتذكر ان مسيحيتنا هي مسيحننا. انه الخبز الحقيقي. ونحن الجياع إلى هذا الخبز. سماتنا وهويتنا هي جوعنا إلى المسيح. نحن من نجوع إلى المسيح فنقبل اليه ونؤمن به باستمرار. عندما يرانا الناس سيقولون أن هذه الفئة تجوع وتعطش لحضور المسيح ولسلطانه على كل تفاصيل حياتها. نجوع إلى بناء هويتنا السياسية بحسب فكر المسيح جاعلين المسيح متواصلا مع قضايا ومشاكل مجتمعنا. نجوع إلى بناء هويتنا الاقتصادية بتبني رؤيته الثورية او الراديكالية. ونجوع إلى بناء هويتنا اللاهوتية على اساس هوية المسيح واقواله. من هو جائع للتعزية في البرية فليأت إلى المسيح. من هو محتار فليبدأ بالمسيح. ومن هو متشدد بالفكر فليتواضع امام المسيح. المسيح هو الخبز ونحن جياع إليه. وطوبى لكل من يجوع إلى المسيح لأن الله سيثبته.

الفصل الثاني

أنا هو نور العالم (يو 8: 12)

هناك صراع بين النور والظلمة

حري بكل البشر ان يعترفوا بأهوال الشر في العالم وبوجود ظلام فكري وقلبي عند كل اولاد آدم. فالجنس البشري مستعبد للخطية وغير قادر على الانتصار على ظلمتها. نلاحظ الظلمة في الحروب والمجاعات، وفي انقسام العائلات وانتحار الشباب، وفي انتشار الحقد والكراهية، وفي شهواتنا ورغباتنا النجسة. نرى الشر في الكذب والسرقه والنميمة والحسد والزنى، وفي الكثير من الأعراض التي تظهر مع مرض الظلمة. وفي الواقع، يوجد ظلمة في كل واحد منا. كما نحتاج جميعا إلى نور حقيقي يهزم ظلمتنا ويعطينا التحرير الإلهي. لهذا من المهم لنا ان نتأمل في قول المسيح "أنا هو نور العالم". فالمسيح هو نور مدينتنا ونور العرب.

يحدثنا يوحنا عن الصراع بين النور والظلمة فيذكر كلمة نور نحو ثلاث وعشرين مرة (يو 1: 4، 5، 7، 28، 9 / 3: 219، 220، 21 / 5: 35 / 8: 12 / 9: 5 / 11: 9 / 11: 10 / 12: 235، 336، 46).¹⁶ نلاحظ ان كلمة نور لا تظهر في كتاب الساعة (يوحنا 13 - 21) بل تتمركز في كتاب الآيات (يوحنا 1 - 12) ظاهرة في بدايته ونهايته.¹⁷ أما كتاب الساعة (يوحنا 13 - 21) فهو وقت الظلمة وقت صلب يسوع وموته.¹⁸ نلاحظ ايضا انه توجد مفارقة وتنافر بين النور والظلمة (يو 1: 5 / 8: 12 / 12: 35) وبين النهار والليل (يو 9: 4 / 11: 9 - 10). ولقد اعلن يسوع انه نور العالم في يو 8: 12 و 9: 5 و 12: 46. ستكون هذه الإعلانات اساسا لتأملاتنا.

¹⁶تدلنا الاعداد الموجودة بالحجم الصغير، فوق بعض الارقام، على عدد المرات التي تُذكر فيها كلمة نور في نفس العدد. مثلا، تتكرر كلمة نور مرتين في يو 1: 8 لهذا نكتبها بالصورة التالية: يو 1: 28.

¹⁷يتحدث الاصحاح الحادي عشر عن اقامة لعاز، الآية السابعة والأخيرة في كتاب الآيات، إلا ان الارتباط بين الاصحاحين الحادي عشر والثاني عشر قوي مما يقودنا إلى ضم الاصحاح الثاني عشر إلى كتاب الآيات (يوحنا 1 - 12).

¹⁸تُدعى الاصحاحات 13 - 21 بكتاب الساعة لأنها تبدأ بالآية التي تقول ان الساعة قد اتت. والساعة هي انتقال المسيح من العالم إلى الآب. لاحظ تكرر فكرة الساعة في يو 2: 4، 12: 23 - 27، 13: 1، 17: 1.

اعلن المسيح انه نور العالم في يو 8: 12. يأتي هذا الاعلان بعد قصة المرأة التي أمسكت في زنى. بالرغم من معرفتنا بشكوك النقد الادنى والتعاليم التي تقول ان هذه القصة غائبة في اقدم النسخ الموجودة واصحها،¹⁹ إلا أن وجود هذه القصة في موقعها يساهم في ايضاح تفسير السياق.²⁰ فهي تنتهي بعدم دينونة المسيح للمرأة الزانية (يو 8: 11). وتقع القصة بين قول نيقوديموس ان الناموس لا يدين احدا دون ان يسمع منه اولا ويعرف ماذا فعل (يو 7: 51) وبين نقاش يسوع حول الدينونة والحكم بحسب الجسد (يو 8: 15 - 17).

نور العالم امام ظلام الكتبة والفريسيين

وعندما نتأمل في قصة المرأة التي أمسكت في زنى، سنكتشف قوة الظلام في حياة الكتبة والفريسيين. وإن وجود الظلمة في حياتهم يضع الخوف في قلوبنا. فهم رجال الدين الذين يقرأون الكتب المقدسة ويفكرون فيها ويقضون الساعات عند الهيكل. لهذا نتوقع ان يكونوا في قداسة ولكن هذه التوقعات خالية من الصحة. لقد جاء الكتبة والفريسيون بإمرأة أمسكت في زنى وحاولوا التخلص من يسوع لأنهم يريدون ان يعيشوا في الظلام. فالرغبات البشرية الشريرة تبرر اسكات صوت الله في سبيل سماع ما يُسر القلب الشرير. يريدون ان يحافظوا على كراسيهم وعلى علاقتهم مع روما - مركز الامبراطورية الرومانية - حتى وإن كان على حساب كسرهم للناموس أو رفضهم لابن الله القدوس.

فضّلت هذه الفئة عالم الظلام وقررت التخلص من النور وقتل المسيح. فنصبوا الفخاخ للمسيح. ارادوا ان يورطوه مع روما فيكون لهم ما يشتكون به عليه. لم يحق لليهود ان ينفذوا حكم الاعدام في بلد تحت سلطان روما. فإذا وافق المسيح على طلبهم بارجم المرأة سيضع نفسه في مأزق مع روما. لقد ارادوا ايضا ان يُخرجوا المسيح فيما يتعلق بتعاليمه عن الرحمة. فإذا عفى المسيح عن المرأة التي أمسكت في زنى يخطئ ضد ناموس موسى. وإذا وافق على رجمها تكون تعاليمه عن الرحمة اقوالا بلا افعال. وهكذا اراد الفريسيون والكتبة ان ينصبوا الفخاخ للمسيح فيجدون ما يشتكون به عليه.

¹⁹Carson, 333-334.

²⁰لاحظ أن ترجمة جمعية الكتاب المقدس في يوحنا 8 تقول "لا نجد 7: 53 - 8 : 11 . في المخطوطات القديمة وفي الترجمات السريانية واللاتينية. بعض المخطوطات تجعل هذا المقطع في نهاية الانجيل". الكتاب المقدس: ترجمة جمعية الكتاب المقدس (لبنان: جمعية الكتاب المقدس، 1993)، 155.

جلبوا المرأة ولكن اين الرجل؟ شهدوا قائلين ان المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل فاين الرجل؟ يقول تث 22: 23 - 24 "إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل في المدينة واضطج معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا . . . فتتزع الشر من وسطك". من الواضح، ان رجم المرأة المخطوبة بدون الرجل يناقض تعاليم موسى. فإن قبل المسيح برجم امرأة مخطوبة يكسر ناموس موسى لأنه يرمم المرأة بدون الرجل. وإن كانت المرأة متزوجة، فعليهم ان يرمموا الزاني والزانية. يقول لا 20: 10 "وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يقتل الزاني والزانية". لم يمارس اليهود هذه القوانين ولكنهم ارادوا ان يجربوا يسوع. فإن رفضها يكون بذلك قد رفض الناموس وإن نفذها فماذا عن تعاليم الرحمة والمسامحة التي ينشرها، وماذا عن سلطة روما؟

العمى الروحي

اظهر المسيح عمى الفريسيين حين انتصب ووقف امامهم سائلا إن كانوا بلا خطية. لم يخف المسيح من الجموع ولم يتوانى عن الدفاع عن امرأة واحدة امام رجال الدين والشعب.²¹ كانت كلمته صوت الله الذي يبيك ضمائر البشر مظهرا عبوديتنا لظلام الخطية ومدافعا عن لا يستحق الدفاع عنه، عن امرأة أمسكت في الخطية. لقد ارادوا ان يشتكوا على المسيح فاشتكى من خطيتهم. فالجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله، الشيوخ وغيرهم. ثم انحنى المسيح وصار يكتب على الارض. لم يكتب المسيح خطاياهم كما اعتقد البعض ولكنه تحدى عارفي الناموس بكلمة الله في ارميا النبي التي تقول "أيها الرب رجاء اسرائيل، كل الذين يتركونك يخزون. الحائدون عني في التراب يكتبون لأنهم تركوا ينبوع المياه الحية" (ار 17: 13). لقد اعلنا يوحنا ان المسيح يعطي الماء الذي يصير ينبوع ماء وينبع إلى حياة ابدية (يو 4: 14). ونسمع المسيح في اليوم الاخير من العيد يقول "إن عطش احد فليقبل الي ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه انهار ماء حي" (يو 7: 37 - 38). بكلمات اخرى، يسوع هو ينبوع المياه الحية. هو الشخص الذي تركه الفريسيون وها هم يكتبون في التراب علامة على هلاكهم في خطيتهم. لقد اخطأ الفريسيون والكتبة حين جلبوا المرأة ولم يجلبوا الرجل. كسروا الناموس الذي يريدون ان يحفظوه. حرفوا كلام الله لاجل مصالحهم الشخصية لكي يورطوا يسوع المسيح وينصبوا الفخاخ لابن الله الوحيد.

²¹حنا ككتاشو ودينا ككتاشو، اطلقوني: دور ومكانة المرأة في المسيحية (القدس: كنيسة الاتحاد المسيحي، 2002)، 32-33.

في ضوء قول المسيح "أنا هو نور العالم" (يو 12: 8) نستطيع ان نقول إن الفريسيين والكتبة في هذه القصة هم اهل الظلام. ولكن لماذا لم يفرحوا بالنور وهم عائشون في الظلام؟ يعلمنا يوحنا انهم الفئة التي تنبأ عنهم اشعيا حين قال "قد اعمى عيونهم، وأغلظ قلوبهم، لئلا يُبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم" (يو 12: 40). لقد اصاب العمى قلوبهم فلم يؤمنوا حين رأوا الآيات التي صنعها يسوع. ولم يؤمنوا بالمسيح حين استعلن الله ذراعه (يو 12: 38). ويربط النص بين المكوث في الظلمة وعدم الإيمان. قال يسوع "أنا قد جئت نورا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" (يو 12: 46). يوضح يوحنا إن عدم الإيمان لم يكن بسبب غياب الادلة. فهناك أدلة كافية تبين أن المسيح هو ابن الله. لقد حول الماء إلى خمر (يو 2: 1 - 11)، وشفى إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة (يو 5: 5)، واشبع الآلاف بواسطة خمسة ارغفة وسمكتين (يو 6: 9)، ومشى على الماء وتغلب على الريح العظيمة واصل السفينة إلى شاطئ الأمان (يو 6: 16 - 21)، وأقام لعازر بعد ان كان له اربعة ايام في القبر (يو 11: 39). وبيّن ايضا انه المسيا الذي تتبأت عنه اسفار موسى الخمسة (يو 4: 25 - 26)، وأعلن بالحق ان الكتب تشهد عنه (يو 5: 39)، وأن موسى كتب عنه (يو 5: 46)، وأن ابراهيم رأى يومه (يو 8: 56)، وأن اشعيا رأى مجده (يو 12: 41). اصف إلى ذلك، تكلمت الأسفار المقدسة عن تفاصيل خيانتته، ومحاكمته، وصلبه، وموته، ودفنه، وقيامته. ويشهد الملايين عبر مئات السنين عن قوته وعمله. بالرغم من كل هذا، هناك عمى روحي وهناك من لا يبصر ابن الله.

فما هي اسباب هذا العمى؟ لا يبصرون ابن الله لأنهم احبوا مجد الناس اكثر من مجد الله (يو 12: 43). لقد احبوا اولويات الناس: بيت مع آخر طراز من الأثاث وسيارة وعمارة اكثر من الله. وبدلا من ان يطلبوا اولا ملكوت الله وبره، طلبوا ملكوت الإنسان والمال. فلو خيرناهم بين مليون دولار أو كسب نفس للمسيح لاختاروا الأولى محتقرين اهمية الاختيار الثاني. لم يريدوا ان يخاطروا بمديح الناس واکرامهم. ولم يريدوا ان يغضبوا الناس حتى وإن كان على حساب الحق. لم يريدوا ان يغضبوا المسؤولين حتى وإن كان على حساب التخلي عن اخوتهم. فتكلموا بالأمر التي يرغب الشعب سماعها متغاضيين عما يريد الله قوله. كانوا خطباء ولكنهم لم يكونوا انبياء. لقد قدموا للناس حكمة البشر ولكنهم لم يعطوهم رسالة من عند الله.

يذكرني هذا الامر بقصة جحا حين اراد ان يذهب إلى المدينة مع ابنه وحماره. شاهد الناس جحا راكبا على الحمار وابنه يمشي فتكلموا عليه قائلين انه لا توجد رحمة عند هذا الرجل الذي يجعل ابنه الصغير يسير بينما هو يركب على الحمار. صعد جحا وركب على الدابة مع ابنه فتكلموا عليه قائلين لا

توجد عند هذا الرجل رحمة لأنه لا يرحم الدابة فيركب هو وابنه على دابة واحدة. نزل حجا واركب ابنه فقط فقال الناس هذا الرجل غبي يُتعب نفسه بدلا من ان يتعب الدابة. نزل جحا هو وابنه وحملوا الدابة على اكتافهم فضحك الناس على غبائه. حقا، من اراد ان يرضي الناس مات هما. لقد اهتم الفريسيون ان يرضوا الناس واحبوا مجد الناس اكثر من مجد الله. منعهم هذا العمى ان يروا النور الحقيقي.

نور العالم امام ظلام المرأة التي أمسكت في زنى

بالإضافة إلى ظلام الفريسيين والكنبة يحدثنا النص عن ظلام المرأة التي أمسكت في زنى. يعرض لنا انجيل يوحنا هذه القصة زمن عيد المظال. فبينما كان الناس يحتفلون بعيد المظال (يو 7: 2، 14، 37)، وقارب العيد على الإنتهاء (يو 7: 37)، كانت هناك امرأة مقيدة بشهوتها الجنسية. ارادت ان تحيا امام الناس بصورة تُخفي حقيقة قلبها.

كان الناس يحتفلون في المظال بإنارة الهيكل في دار النساء فتتار اربع منارات ضخمة وهوذا احدى النساء تعيش حياة الظلام. نعم، إنه من السهل ان نكون وسط الاحتفالات وبالقرب من الهيكل والإماكن المقدسة وامام المنارات الضخمة وفي ذات الوقت نكون مأسورين لقوات الظلام.

لقد تهاونت هذه المرأة بناموس الله وكسرت وصيته. واسلمت جسدها لاستخدامات الشيطان. صارت تعيش في زنى في فكرها وسلوكها. إن الجنس مقدس ولكنه اخطر المقدسات فهو سيف ذو حدين. لهذا نصح بولس تلميذه تيموثاوس بالهروب من الشهوات الشبابية (2 تيم 2: 22) وحذر المسيح الرجل من النظر إلى امرأة ليشتتها (مت 5: 28). وتحدث الكتاب المقدس عن العبودية للخطايا، خاصة الزنى والفسق.

وهنا نجد امرأة أمسكت في زنى ولكن المسيح هو مغير الزانيات. فلقد غير المرأة السامرية وها هو الآن يغير هذه المرأة. إن قدوس الله يواجه نجاسة الخطية ليزيلها، إلا انه لن يزيلها بدون توبة حقيقية من الزانية. فعليها ان تعرف انها اخطأت وأن تقبل نعمة الله التي نجتها من الموت فتتحيا في قداسة بعد خلاصها. قال لها المسيح: "اذهي" فقد اطلقها من دائرة الخزي والعار والذنب والموت ونصحها ألا تخطأ ايضا. ويذكرنا الكتاب انه ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم (1 يو 1: 9). إن كان لنا نفس فكر الله سنرى الخطية بنور المسيح ونقرف منها.

نور العالم امام المولود اعمى

كيف نشفى من هذا العمى؟ يربط يوحنا الآيات السبع التي يتحدث عنها مع سبعة خطابات. بكلمات اخرى، يرتبط حديث يسوع عن كونه نور العالم بأية شفاء المولود اعمى التي تنتهي بالحديث عن العمى الروحي (يو 9: 39 - 41). فكيف ابصر الإنسان المولود اعمى؟ إجابة هذا السؤال ضرورية لفهم طريقة علاج العمى الروحي. نلاحظ في القصة ان العمى كان منذ الولادة وهو جزء من طبيعة المولود المشوهة. وهكذا تتشابه قصة المولود اعمى مع العمى الروحي الذي يرتبط بالطبيعة الساقطة منذ الولادة. وهنا نسأل سؤالاً غريباً لنوضح قصدنا: هل نحن خطاة لأننا نخطئ ام نخطئ لأننا خطاة؟ بالطبع، نحن خطاة ليس لأننا نعمل الخطية بل نخطئ لأننا خطاة بالطبيعة الساقطة التي ورثناها عن آدم. ولن يخلصنا احد من الطبيعة الساقطة إلا الله الذي يستطيع ان يخلقنا من جديد.

ويخبرنا النص في يوحنا ان المسيح اعلن انه نور العالم امام عمى المولود اعمى ثم ثقل وصنع طينا. لقد اعاد المسيح خلق اعين المولود اعمى. فكما خلق الله آدم وحواء من التراب ونفخ، هكذا صنع المسيح طينا وخرجت كلمة الحياة من فمه (راجع تك 2: 7 / يو 9: 6 - 7). لقد خلق الله العالم وها هو يعيد الخلق علامة على الفداء. إن دعوة الله لنا ان نعطي عمانا للمسيح طالبين منه ان يفتح عيوننا فنرى الناس كما يراها الله ونرى الحياة كما يراها خالقها.

ابصر الأعمى حين اطاع تعليمات الرب وذهب إلى البركة ليغتسل كما اوصاه المسيح (يو 9: 7). وهنا نتذكر قصة شفاء نعمان من البرص. قال له اليشع ان يذهب ويغتسل في الاردن (2 مل 5: 10) ولما اغتسل طهر (2 مل 5: 14). قد نتحدث عن البصر والبصيرة وعن الشفاء ولكن الفرق الحقيقي في حديثنا يكون عندما نختبر نور الرب ونطهر ونرى. نغتسل ونبصر. ربما نبصر ان المسيح هو نور العالم ولكن ادراكنا يزداد في وسط الآلام وتحديات المضطهدين. فقصة الاعمى تخبرنا عن تزايد ادراكه. اعترف ان المسيح هو إنسان وانه شفاه (يو 9: 10)، ثم اعترف انه نبي يتكلم بكلام الله ويصنع الآيات بقوة الله (يو 9: 17)، ثم اعترف الاعمى ان يسوع تقي ومطيع وانه من الله. فلم يُسمع في كل العهد القديم ان احدا فتح عيني مولود اعمى. هذا العمل هو من اختصاص المسيا. يقول اشعيا عن عبد الرب "أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك واحفظك واجعلك عهدا للشعب ونورا للامم لتفتح عيون العمى، لتُخرج من الحبس المسُورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (اش 42: 7 / راجع ايضا اش 29: 18 واش 35: 5). يربط قول اشعيا فتح اعين العمى بالعصر المسياني وبالنور. يربطه بالعصر الذي ستشرق فيه كل بركات الله ويحقق الله وعوده لشعبه. ويربط اشعيا تحقيق الوعود ومجيء التعزية بشخص يدعوه "عبد

الرب". سيكون عبد الرب هو العهد الإلهي فاشعياً يقول "سأجعلك عهداً للشعب". وسيفتح عبد الرب عين العمى ويهزم العمى فيخرج المأسورون من ظلمتهم إلى نور الرب.

عبد الرب هو يسوع المسيح الذي سيفتح عين العمى. جاء المسيح وفتح عيني المولود العمى. وصار المولود العمى مولوداً ثانية عندما اعترف بابن الله وسجد له. فبعد ان اخرجوه خارج المجمع (يو 9: 35) وجده يسوع وقدم له دعوة الإيمان بابن الله. حتى الآن لم يرَ العمى المسيح بل سمع صوته فقط ولكنه من خراف المسيح التي تسمع صوت الراعي وتطيعه. قال له يسوع "اتؤمن بابن الله" (يو 9: 36) ثم اعلن يسوع للمولود العمى انه رأى المسيا (يو 9: 37). عرف العمى صوت المسيح ولكنه رآه لأول مرة عندما ارتفع إيمانه وعرف انه ابن الله.²² آمن العمى وسجد للمسيح. ولقد اعتبر الفريسيون المولود العمى خارج التقليد والتعاليم المتبعة فاخرجوه خارج المجمع (يو 9: 22، 34) ولكن المسيح ادخله من الباب الذي يقود إلى الحياة وإلى المرعى الجيد (يو 10: 9). تغيرت حالة العمى وتغيرت طبيعته بسبب علاقته مع المسيح. كان مع اهل الندين ولكنه الآن صار من اتباع المسيح.

إننا كمسيحيين قد نختبر اضطهاد بعض المتطرفين الدينين في بلادنا. فقد يمنعونا من التحدث عن يسوع ويتهمونا بأشياء يقبح ذكرها إلا اننا نحن كنيسة المسيح العربية التي تؤكد نور المسيح ومحبته لكل الناس. فنحن نؤكد على وحدة جسد المسيح الحقيقي ووحدة اتباع المسيح من كل الطوائف. وفي وسط ضغوطات المسلمين واليهود نؤكد محبتنا لهم وتمسكنا بالمسيح في ذات الوقت. سنكون نورا كما أن مسيحننا هو نور. لن نعيش في عمى الكراهية والحقد بل في نور المحبة. لن نعيش في عمى الخوف من المستقبل بل في نور الثقة بالرب. نور المسيح يقود إلى الحياة ولكن العمى يقود إلى الموت الروحي.

دعونا الآن نختم هذا الجزء بالتحدث عن إنسان عربي كان نورا في وسط الظلام. فتشبه بسيد المسيح وصار من احد ابطال الإيمان في فلسطين. اسم بطلنا: ربيع بن قيس بن يزيد الغساني ويُدعى ايضا عبد المسيح النجراني. عاش ربيع في القرن الثامن بعد الميلاد. ولقد ترك ربيع المسيحية وصار مسلماً. وبعد ثلاث عشرة سنة ذهب إلى بعلبك. وسمع هناك قسا يقرأ الانجيل فطلب منه ان يفسر ما يقرأ. قرأ القس قائلا: "من احب ام او اب او اخ او شيء افضل منى فليس هو لي باهل".²³ فصار ربيع يبكي

²² اشكر توماس داميانوس احد طلابي في كلية الجليل للكتاب المقدس فهو الذي لفت نظري لهذا الامر.

²³ Sidney Harrison Griffith, *Arabic Christianity in the Monasteries of Ninth-Century Palestine* (Burlington: Ashgate, 1992), X: 362-363.

وعندما سأله القس عن الامر قال له لا تلمني على بكائي فقد كنت مرة من اصحاب هذا الانجيل، وأما اليوم فمن اعدائه. ثم طلب ربيع التوبة وصار راهبا امينا وشهد بجهارة عن ايمانه أمام المسلمين حتى انه كتب شهادته ورمها في جامع الرملة. وتقول القصة ان والي الرملة كان مسلما متشددا. فقبض على عبد المسيح وقال له "استحي لنفسك لانك رجل ذوا شرف وقدر".²⁴ اراد الوالي ان يخير عبد المسيح بين الحياة كمسلم او الموت كمسيحي. فقال له عبد المسيح "الحيا من الالهي المسيح اوجب من الحيا منك".²⁵ اختار عبد المسيح الموت مسيحيا بدلا من الحياة بالطريقة التي يريد بها الوالي المتطرف. فقتله الوالي ليطفئ نور شهادته ولكن نورها ما زال يشع حتى في القرن الواحد والعشرين.

احبائي، يدعونا المسيح ان نؤمن انه نور العالم امام ظلام الفريسيين وتحديات العالم الكثيرة ويدعونا المسيح أن نحيا حاملين هذا النور فنحن اهل النور.

لقد وضعت النصوص العربية المقتبسة كما وردت في المخطوطة العربية الاصلية.

²⁴المرجع السابق، 368.

²⁵المرجع السابق، 368.

الفصل الثالث

أنا هو الراعي الصالح (يو 10: 11)

يستخدم يوحنا مثلا عن الراعي الصالح (يو 10: 6).²⁶ فما هو هذا المثل؟ يحدثنا يوحنا عن حظيرة مرتبطة بكهف صغير لوقاية الغنم من المطر وبسبب لمنع خروب الخراف ولوقايتهم من الحيوانات المفترسة او اللصوص. وقد استأجر البعض حارسا ليحرس الخراف في الليل. وقد يكون هناك عدة قطعان لعدة اشخاص في حظيرة واحدة ومع حارس واحد. يضيف يوحنا قائلًا أن راعي الخراف يدخل من الباب بعكس السارق واللص. وعندما يأتي الراعي إلى الباب يعرفه الحارس، او البواب، فيفتح له لكي يُخرج خرافه. ويدعو الراعي خرافه الخاصة باسمائها. فلقد شكّل هذا الراعي علاقة قريبة مع خرافه ودعا كل واحد منها باسم، مميزا بينها وبين اعمارها المختلفة واشكالها المتباينة وميولها المتعددة. كان الراعي يعرف النعجة من الطعجة، ويعرف الخراف التي عندها الصوف مميزا اياها عن المعز التي عندها الشعر، ويعرف النعاج التي لها صوت جميل وتلك ذات الصوت القبيح، ويميز بين ثغاء الغنم ويُعار المعز ونبيب التيس. لقد كان الراعي يعرف حاجة الغنمة من ثغائها او صوتها، ويعرف الكباش النطّاحة والكباش المسالمة، ويميز المجموعة المرتدية ثياب الحملان ولكنها من الداخل ذئاب خاطفة. فالراعي عنده دكتوراة في علم الغنم ومشتقاته. كان هذا الراعي يضع الخراف في الحظيرة من اجل الراحة والحماية من الذئاب واللصوص ثم يأتي ويخرجها من الحظيرة لأجل الشرب والأكل. ويكلم هذا الراعي خرافه فتسمع صوته وتتبعه لأنها تثق به.

بعد أن قال لهم هذا المثل عن الراعي والخراف، بدأ يسوع يشرح لهم المثل ويوسع تعليقاته. ولكن قبل ان ندخل في شرح يسوع علينا ان ندرك أن اسرائيل انتظر الراعي الصالح وبحث عنه خاصة بعد إعلان حزقيال النبي. يروي لنا حزقيال في الاصحاح الرابع والثلاثين سمات الرعاة الاشرار الذين يستغلون الغنم لمصالحهم الشخصية ويتصرفون بدون رحمة ولا عدل تجاه غنم الرب. فلم يقووا المريض، ولم يعصبوا المجروح، ولم يجبروا المكسور، ولم يستردوا المطرود، ولم يطلبوا الضال (حز 34: 4).

²⁶ يذكر العهد الجديد كلمة "راعي" 18 مرة، خمسة منها في يوحنا 10. المراجع هي: مت 9: 36، 25: 32، 26: 31 / مر 6: 34، 14: 27 / لو 2: 8، 15، 18، 20 / يو 10: 2، 21، 12، 14، 16 / اف 4: 11 / عب 13: 20 / 1 بط 2: 25. ويُدعى المسيح ايضا رئيس الرعاة في 1 بط 5: 4.

وهكذا قرر الرب ان يفتقد غنمه ويخلصها ويرعاها بنفسه (حز 34: 12 - 14). قرر الرب ان يسترد العلاقة الصحيحة بين الغنم والراعي. فأراد ان يطلب الضال ويسترد المطرود ويجبر الكسير ويعصب الجريح ويبيد السمين والقوي الذي يظلم الخراف الاخرى ويقود الخراف إلى المرعى الجيد (حز 34: 14 - 16). ويعلن حزقيال الذي خدم في القرن السادس قبل الميلاد أن الراعي الذي سيقميه الرب هو داود (حز 34: 23). لم تكن هذه غلطة تاريخية فحزقيال يعرف ان النبي داود قد مات منذ مئات السنين ولكنه توقع قدوم الراعي الصالح من نسل داود. توقع المسيا الذي سيرعى شعب اسرائيل ويكون علامة عهد السلام والحرية والإطمئنان، ويكون راعي المرعى الجيد (حز 34: 23 - 30). ويضيف حزقيال أن هذا الراعي سينهي سبي اسرائيل ويقودهم إلى ارض الموعد. سينهي هذا الراعي الانقسامات داخل شعب اسرائيل ويصيرهم امة واحدة، ويخلصهم ويظهرهم ويكونون في عهد معه ويرعاهم (حز 37: 15 - 27). تحت رعاية داود سيختبر الشعب السلام مع الله ويختبرون حضور الله في وسطهم. وسيكونون رعية واحدة ولهم راع واحد.

في ضوء هذه الاقوال نرى خطورة واهمية اعلان المسيح انه الراعي الصالح الذي انتظرته اجيال اسرائيل عبر السنين. لقد أعلن المسيح انه الراعي الصالح ووصف كل اتباعه بالخراف. إن هويتنا كخراف المسيح أمر لا يمكن التنازل عنه لأن الراعي الصالح سيبدل نفسه عن الخراف. سيدافع عنها امام الذئب. لقد دافع الرعاة عن خرافهم امام الذئاب والحيوانات المفترسة. وعادة، تصطاد الذئاب في جماعات ويقود الذئب المسيطر مجموعة الذئاب في الصيد وقد تصل المجموعة إلى عشرين ذئبا إلا انه غالبا ما تكون المجموعة اصغر من ذلك بكثير وقد تصل إلى ثلاثة ذئاب او ذئبين. وفي صراعه مع الذئاب الاخرى، يفضل الذئب المسيطر الحرب النفسية على الحرب الجسدية.²⁷ الذئب متمرس في اساليب زرع الخوف في قلوب اعداءه. فلا عجب ان نرى الاجير يهرب من امام الذئب بدون الدخول في معركة. ويقدم يوحنا ثلاثة امور عن الخادم الهارب: اجير، ليس راعيا، ليست الخراف له. ثم يقدم ثلاثة افعال: يرى، يترك، ويهرب (يو 10: 12). لقد سيطر الخوف على الاجير عندما رأى الذئب مقبلا فترك الخراف وهرب. ويبدو ان الاجير طلب رعاية الغنم لاجل المال، ولكن لا يستطيع احد ان يخدم الله والمال. يختلف موقف المسيح عن موقف الاجير لأنه سيدافع عن الخراف. فبينما يخطف الذئب الخراف من يد الاجير ويبيدها، يعلن المسيح انه لا يوجد احد يستطيع ان يخطف الخراف من يده (يو 10: 12، 28). فهو الذي يحمي خرافه.

²⁷Encyclopedia Wikipedia. *Gray Wolf*. Available at http://en.wikipedia.org/wiki/Gray_Wolf. Accessed on April 25, 2007.

ولقد حمى الرعاة الخراف من الذئاب بالعصا و احيانا بالنار. فحظيرة الخراف مُحاطة بسيياج من الشوك. فإن تجمع العديد من الذئاب اشعل الراعي النار جاعلا الشوك او السياج المحيط بالحظيرة سورا من نار يحمي الخراف. تفوق المسيح في حمايته للخراف فواجه الذئب مقدما نفسه بدلا عن الخراف. واجهه بالصليب وبذل نفسه بدلا عن الخراف.

كيف رعى المسيح خرافه؟

يقول يوحنا ان المسيح يدعو خرافه الخاصة باسماء ويخرجها (يو 10: 3). يعرف المسيح اسماء خرافه ويحترم كل خروف او نعجة داعيا خرافه باسمائها ومخرجا اياها إلى المرعى الجيد، أو إلى الحياة الأفضل. يعلمنا انجيل يوحنا عن خمسة خراف ضلت الطريق ووقعت في فخاخ الحياة ولكن المسيح دعاها باسمائها وأخرجها إلى المرعى الجيد. هذه الخراف هي لعازر (يو 11: 43)، وفيلبس (يو 14: 9)، ومريم (يو 20: 16)، وتوما (يو 20: 29)، وبطرس (يو 1: 42، 21: 15، 16، 17). وترتبط الاحداث المتعلقة بهذه الاسماء بالقيامة. فلعازر اقامه الرب من بين الاموات بعد أن وصف المسيح نفسه بالقيامة والحياة (يو 11: 25). وفيلبس دعاه المسيح باسمه شارحا له ضرورة موت المسيا وأهمية ذهابه إلى الآب وارساله الروح القدس. وترتبط دعوات مريم وتوما وبطرس بالمسيح المقام من بين الاموات (يو 20 - 21). فدعونا ندرس تعامل المسيح مع الشخصيات الخمسة المذكورة اعلاه.

اولا، تعامل الراعي الصالح مع لعازر الخروف المريض ودعاه باسمه بعد موته (يو 11: 1 - 44). يمرض الخرفان في الكثير من المرات وقد يقودهم المرض إلى الموت ولكن لا يعسر على الله امر فهو قادر ان يعيد هذه الخراف إلى الحياة.²⁸ نعم، مات لعازر وعندما جاءه الراعي الصالح وجد انه قد صار له اربعة ايام في القبر. لم يمنع المسيح المرض عن لعازر لأنه اراد ان يباركه بركة عظيمة. إنها بركة اعظم من نعمة الشفاء من المرض. إنها القيامة من الموت! لهذا لم يمنع المسيح تتطور المرض الذي وصل بلعازر إلى الموت. وبعد اربعة ايام من موت لعازر، فقد كل امل ورجاء. وتقول احدى التفاسير اليهودية إن الروح تحوم حول الجسد لثلاثة ايام محاولة ان ترجع اليه ولكنها عندما ترى ان

²⁸إن الله قادر على كل شيء لا يتناقض مع طبيعته. فإله لا يستطيع ان ينتحر او يكذب او يزني.

الجسد بدأ يفسد تتركه.²⁹ ولا يستطيع احد ان يرجع الروح إلى الجسد بعد انقضاء اليوم الثالث إلا الله وحده. ولقد صلى الراعي الصالح لأجل لعازر (يو 11: 41) وخاطر بحياته ليصل إليه. فذهب إلى اليهود الذين ارادوا ان (يو 10: 39). وبسبب إقامته للعازر، قرر اليهود ان يقتلوه (يو 11: 53). لقد أتى الراعي الصالح لكي ينجي خروفه من قبضة الموت بالرغم من الخطر الذي يهدد حياته. وعندما وقف الراعي امام قبر لعازر، صرخ بصوت عظيم قائلا: "لعازر هلم خارجا" (يو 11: 43). فقام الميت! لقد سمع لعازر صوت الراعي الصالح فدخلت فيه الحياة. إن قصة لعازر تظهر محبة الراعي الذي خاطر بنفسه لإجل خرافه وصلى لاجلهم عالما أن الآب يسمع ويستطيع ان يحول الأوضاع الميئوس منها إلى بركة تفيض بالخير (يو 11: 41 - 42). وتعلمنا قصة لعازر أن الراعي الصالح لا يتحرك بحسب حاجة الناس وتوقيتهم بل بحسب خطة الله وتوقيته. فلقد مكث المسيح يومين في الموضع الذي كان فيه قبل مغادرته لإعانة لعازر وعائلته (يو 11: 6).³⁰

ثانيا، تعامل الراعي مع خروف مضطرب، وهو شخص اسمه فيلبس (يو 14: 1 - 14).³¹ اضطرب فيلبس لأن المسيح سيمضي. اضطرب فيلبس لأن مصدر علاقته مع الله وبنوع تغذيته سيمضي. اضطرب لأنه سيخسر الضمانات التي تربطه بالله ولأنه يواجه امورا لا يقبلها او يهضمها عقله. اضطرب لأنه يمر بتغيير في الامور التي اعتاد عليها. فلقد اعتاد على معرفة محدودة للمسيح. لم تساعده هذه المعرفة أن يدرك أن من رأى المسيح رأى الله وأن الضمانات الإلهية ابعده من التوقعات البشرية. فانه سيرسل معزيا آخر، الباراكليت (παρακλητος - پاراكليتوس). يريد الراعي الصالح ان ينقل خروفه فيلبس إلى عمق آخر في علاقته مع الله. فبدلا من وجود الله معنا سيكون الله فينا. قال المسيح عن الباراكليت انه ماكث مع فيلبس وسيكون فيه (يو 14: 17).³² إن الباراكليت هو المحامي المجاني الذي يسير مع فيلبس ليحثه ويشجعه ويدافع عنه ويذكره بوعود الله. وهو ايضا يبكت على الخطايا (يو 14: 16

²⁹ راجع تفسير سفر اللاويين في قسم التلمود المعروف ب"فيقرا رابه" (פיקרא רבא) خاصة فيقرا رابه 18: 1. يُعلق هذا النص على لا 15: 1.

³⁰ يتحدث الفصل الخامس عن لعازر وكيف اقامه المسيح من بين الاموات.

³¹ للمزيد من المعلومات عن فيلبس، راجع "اعتراض فيلبس" في الفصل السادس.

³² يستخدم النص اليوناني صيغة المستقبل عندما يقول ان الروح القدس ماكث معكم ويكون فيكم. كلمة يكون هي إستاي (ἔσται) وهي صيغة المستقبل للفعل كان.

17 - 26 / 15 : 26 - 27 / 16 : 7 - 11 ، 12 - 15). ونستطيع ان نفهم الكلمة اليونانية (ἐλεγχω - إينخو) التي نترجمها "يبكت" بالصور التالية: سيدحض الروح القدس المقولات الخالية من التقوى، سيخجل الروح القدس الإنسان امام احسانات وقداسة الله، سيحقّر الروح القدس اهمية العالم، سيتهم دوافعنا التي لا تتناسب مع فكر الله، سيمتحن قلوبنا، سيثبت صدق افكار الله وخطئه، سيفحمننا ويفضح خفايا افكارنا ودوافعنا، وسيوبخنا على عدم حساسيتنا لإرادة الله. بكلمات اخرى، دعا الراعي الصالح فيلبس ان يؤمن بالمسيح وبترتيبه حتى في وادي ظل الموت. اعتنى الراعي الصالح بحاجة فيلبس المضطرب وبالضمانات الابدية. فقال "وأنا اطلب من الآب فيعطيك معزيا آخر ليمكث معكم إلى الابد" (يو 14: 16). هذا هو الاقنوم الثالث، الروح القدس الرب المحيي.

ثالثاً، تعامل الراعي الصالح مع الخروف الحزين او النعجة الحزينة التي تُدعى مريم. دعا الراعي الصالح مريم باسمها (يو 20: 1 - 18). وهناك دلالة خاصة لهذه الدعوة. فكما تتغير الاحداث في قصة لعازر بعد دعوته باسمه تتغير حالة مريم بعد أن ينطق الراعي الصالح اسمها. دعونا نتأمل في هذه القصة فهي لا تتحدث فقط عن قيامة المسيح بل تروي لنا ايضا قيامة امرأة، قيامة مريم التي كانت اسيرة احزانها وافكارها.

جاءت مريم إلى القبر مرتين وغادرت القبر مرتين. ولكن هناك فروقات كبيرة بين المغادرة الأولى والمغادرة الثانية. جاءت مريم الى القبر في المرة الأولى في اول الاسبوع بعد انتهاء السبت في الوقت الذي عاد اليهود فيه إلى ممارسة نشاطاتهم اليومية. جاءت باكرا بحسب التوقيت الروماني الذي يبدأ اليوم عند شروق الشمس وليس بحسب التوقيت اليهودي الذي يبدأ اليوم عند الغروب. ما زال يومها في بدايته وهناك امور كثيرة قد تحدث في هذا اليوم. ويخبرنا يوحنا أن الظلام كان باقيا (يو 20: 1) فيربط غياب النور بالظلام الفكري الذي ساد على مريم. لقد ذهبت مريم إلى ارض البكاء، وإلى مكان خطير يسرق فيه اللصوص القبور، وإلى موقع تحضر فيه الارواح الشريرة، وإلى حيز نتذكر فيه الموت. ثم نظرت بالعين الطبيعية فوجدت حلولا منطقية وتفسيرات طبيعية. وجدت القبر فارغا. فظنت ان اللصوص سرقوا جسد المسيح. وهكذا افتتحت مريم كورس لاهوت المقابر وبدأت تعلم فيه. وذهبت مريم للتلاميذ اول مرة برسالة القبر الفارغ. كانت رسالتها مليئة بالارتباك والغموض. تحدثت عن المشكلة وزرعت الاضطراب في قلوب التلاميذ. كانت عبارتها عامة وشحيحة المعلومات. قالت "اخذوا السيد من القبر" دون ان تبين هوية الآخذين او تشرح معنى الأخذ. قالت "لسنا نعلم اين وضعوه" بدون ان تشرح من تعني بصيغة الجمع في حديثها (يو 20: 2). اصف إلى ذلك، كانت تفكيرها بالسيد او بالرب يسوع مرتبطا بجثة

هامدة لا حول لها ولا قوة، يأخذها الناس وينقلونها إلى حيث لا تشاء. ويشبه موقف مريم موقف الكثيرين منا عندما يواجهون عالم الموت. فبدلاً من اعلان حاجة قلوبنا إلى نور المسيح نبدأ بنشر لاهوت المنطق البشري مروحين الارتباك، والخوف، والحيرة.

يختلف موقف المسيح عن موقف مريم. فعندما مات لعازر، لم يذهب المسيح إلى القبر مباشرة في اول فرصة سانحة بل مكث في الموضع الذي كان فيه يومين. فسار بحسب توقيت الله وليس بحسب الحاجة الملحة (يو 11: 6). كان يمشي في النهار وليس في الليل لئلا يعثر (يو 11: 9 - 10). وعندما تحدّث عن لعازر، لم يعط تقريراً مربكاً بل قال "لعازر مات ولكني سأذهب لأوقظه" (يو 11: 11 - 15). وبينما نشر تقرير مريم الارتباك، نشر المسيح الإيمان وتوقع عمل الله.

بعد ان تحدثنا عن قدوم مريم اول مرة إلى القبر ومغادرتها مع اول تقرير، نستطيع الآن ان نتأمل التغيير الذي احدثه الراعي الصالح في حياتها عندما جاءت إلى القبر ثانية. لقد عادت مريم إلى القبر مرة اخرى وكانت تبكي. غمرها الحزن وصار حزنها عائقاً امام تعاملات الله. وبالرغم من انها في المكان الصحيح إلا انها لم تكن في الوضع الصحيح. كانت تطلب يسوع الميت الذي لا يستطيع ان يغلب الموت أو ان يتحدث معها ويغير حياتها. كانت تطلب جسداً هامداً وليس إلهاً حياً. وكانت مقيدة بحزنها وبمحدودية افكارها عن الله. فلم تفكر أن الله قادر ان يقيم المسيا من بين الاموات. أعمى الحزن عيونها فلم تر الملاكين بالرغم من انها نظرتهم. فبينما يتأثر ويتغير معظمنا برؤية الملائكة لم تر مريم سوى حزنها وكانت اسيرة افكارها. نظرت يسوع ولكنها لم تر ابن الله الحي بل ظنت ان اللصوص قد سرقوا جسد المسيح او أن البستاني قد اخذه.³³ ولكن الله ترأف على مريم فنادها الراعي الصالح باسمها قائلاً "يا مريم" (يو 20: 16). سمعت مريم صوت الراعي وعرفته فخرافه تسمع صوته حين يدعوها باسمائها وتتبعه لأنها تعرف صوته (يو 10: 3 - 4). لم يعد المسيح غريباً او البستاني المجهول الهوية بل صار "ربوني" (يو 20: 16). لم يعد القبر الفارغ موضوع الحزن والبكاء بل موضوع التسبيح. لم تعد رسالة مريم "اخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم اين وضعوه" بل صارت رسالتها انها "رأت الرب". لقد حولت

³³انتشرت سرقة القبور في القرون الأولى للميلاد. وهكذا اقترح رؤساء الكهنة لحراس قبر المسيح إشاعة القول ان تلاميذ المسيح سرقوا جسده وهم نيام (مت 28: 13). كانت سرقة القبور شائعة مما دفع الامبراطور كلوديوس (41 - 54 م). إلى التصميم على اعدام السارقين. يحاول الناس تفسير امور الله بطرق مختلفة. هنا نجد كيف أن التفسير البشري الطبيعي يستثني الامور الفوطبيعية بالرغم من فرادة المسيح.

كلمات الراعي الصالح حياتها وخدمتها واخرجها المسيح من حزنها ومحدودية افكارها إلى الواقع الإلهي الذي يسمو فوق التوقعات البشرية. لم تعد خدمتها ورسالتها خاليتين من المسيح الحي. وبفضل نعمة الله، غادرت مريم القبر في المرة الثانية مختبرة القيامة: قيامتها من حزنها واختبارها لقيامة المسيح. لقد غادرت القبر مع قلب مختلف وتقرير مختلف. فبدلاً من تقرير المنطق البشري (logical) عادت بالتقرير الكريستولوجي (Christological) وهو تفسير المسيح للأحداث. عادت مرسله من المسيح بعد ان قامت من حالتها الأولى ولبست حياة القيامة. وتحلى لسانها برسالة الهيئة وليس بتقارير منطقية تستثني التعاملات الفوطبيعية.

رفع المسيح شأن مريم المجدلية وكرم من خلالها كل امرأة. فلقد جعلها اول من يشهد عن قيامته ويراه بعد موته. لقد اختار الله امرأة في عالم يحكمه الرجال واعطاها اشرف الرسائل فهو الذي يختار المزدري وغير الموجود ليخزي حكمة الحكماء. اعطاها المسيح رسالة مجيدة قائلاً لها: "لا تلمسيني لأنني لم اصعد بعد إلى ابي، ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم: إني اصعد إلى ابي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يو 20: 17). قول يسوع يبدو غريباً للوهلة الأولى ولكن تقديرنا لكلماته يزداد مع ازدياد تمعننا فيها. لماذا طلب يسوع من مريم الا تلمسه قائلاً "لا تلمسيني" (Μη μου 'απτου - مي مو هبتو) بينما دعى توما ان يلمسه (يو 20: 27)؟ بحسب الاناجيل لم يصعد المسيح إلى السماء قبل ظهوره لتوما إلا انه دعاه ان يلمسه. فلماذا طلب من مريم الا تلمسه؟ نستطيع ان نستنتج ان منع يسوع لمريم غير متعلق بتغيير طبيعة جسده بين القيامة والصعود فجسد القيامة هو نفسه جسد الصعود. ويمكننا ترجمة العبارة اليونانية "مي مو هبتو" بالطرق التالية: توقفي عن لمسي، او التعلق بي، او التشبث والتمسك بي. وكأن يسوع يريد ان يقول ان علاقة مريم مع المسيح قد تغيرت. فمن غير المقبول ان تبني علاقتها معه على اساس معرفته في الجسد بل يجب ان تبنيها على اساس قيامته وصعوده وانسكاب الروح القدس. بدون شك علل المسيح طلبه بصعوده إلى الأب قائلاً "لأنني لم اصعد بعد إلى ابي". يقول بطرس الرسول "قيسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذا ارتفع بيمين الله، واخذ موعد الروح القدس من الأب، سكب هذا الذي انتم الآن تبصرونه وتسمعونه" (اع 2: 32 - 33). بكلمات اخرى، ارتبط انسكاب الروح القدس بصعود المسيح.

إن علاقة مريم بالمسيح الحي الذي سيصعد إلى السماء هي نموذج لعلاقته مع التلاميذ. لهذا اعطاها رسالة تبلغها إلى اخوته اي تلاميذه. وذهبت مريم مباشرة إلى التلاميذ مطيعة قول يسوع "اذهبي إلى اخوتي" (يو 20: 17). كانت رسالتها متعلقة بصعود المسيح وبتميز علاقته مع الأب عن باقي الجنس البشري. فهو لم يقل "ابينا والهنا" بل قال "ابي وابيكم وإلهي والهكم" (يو 20: 17). إن ابوة الله للمسيح

تختلف عن ابوته لنا والوهية الآب للابن تختلف عن الوهيته لنا. فهناك الوهية مرتبطة بفرق الادوار. مثلا كان موسى الها لفرعون (خر 7: 1). اختلف دور موسى عن دور فرعون بالرغم من تساويهما في الجوهر. كلاهما بشر. وكان موسى إليها لهارون (خر 4: 16) فأعطاه كلمة الله وشاركها فرعون مع الشعب. اصف إلى ما سبق، هناك الوهية مرتبطة بالنعوع بحيث ان الله وحده متفرد في جوهر الالوهية. إن الوهية الله للبشر هي ليس فقط بسبب الدور بل ايضا بسبب الجوهر ولكن الوهية الله للمسيح هي ليست بسبب الجوهر بل بسبب الدور. فالابن هو اله كامل مساو للآب في الجوهر. هو الله الابن المولود الوحيد الفريد في بنوته بحسب تعبير يو 1: 18 في اللغة اليونانية (μονογενής θεός – مونوجينيس ثيوس). بالرغم من مساواته للآب في الجوهر خضع الابن للآب في الدور. فكل اقنوم له دور مميز. مثلا لم يتجسد او يصلب الآب (Patripassianism) او الروح القدس بل الابن. بايجاز، يدعو الابن الآب الهه بسبب الادوار المختلفه وخضوع الابن للآب. ويتحدث بولس الرسول عن خضوع الابن للآب قائلاً أن الآب اخضع كل شيء تحت قدمي الابن بدون ان يخضع الآب للابن. يقول بولس "ولكن حينما يقول 'إن كل شيء قد أخضع، فواضح أنه غير الذي اخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه ايضا سيخضع للذي اخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل" (1 كور 15: 26 – 28). فالابن نفسه يخضع للآب بعد ان يُخضع الآب له كل شيء.

رابعا، دعا المسيح توما باسمه. تتلخص مشكلة الخروف توما بعدم الإيمان. دخل عدم الإيمان إلى قلبه عندما انعزل عن باقي التلاميذ ورفض شهادة الكنيسة الأولى. لم يكن توما مع التلاميذ حين ظهر لهم يسوع لأول مرة وحين اراهم يديه وجنبه ليؤكد لهم انه نفس الشخص الذي صُلب قبل ايام قليلة. كانت طعنة الحربة في جنبه علامة مميزة له حتى بين الاشخاص الذين صلبوا معه لأنهم لم يُطعنوا في جنبهم مثل المسيح. رأى التلاميذ الرب وسمعوا بركاته ووصاياه لهم إلا ان توما لم يكن معهم.³⁴ اصر توما على

³⁴ قال المسيح لتلاميذه "سلام لكم! كما ارسلني الآب ارسلكم انا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن امسكتم خطاياهم امسكت" (يو 20: 21 – 23). (1) لاحظ ان النص لا يقول نفخ عليهم بل نفخ فقط. (2) لاحظ ان الهواء الخارج من فم يسوع هو ليس الروح القدس بل علامة لقبول الروح القدس. (3) لاحظ ان حياة التلاميذ لم تتغير كثيرا بعد هذا الحدث فنجدهم مختبئين بعد اسبوع حين ظهر يسوع لتوما ونجدهم يمارسون مهنة الصيد (يو 21: 1-3). (4) لاحظ ان النص يؤكد حدوث هذا الامر في اول الاسبوع (راجع 20: 1، 19) اي في ذكرى يوم القيامة بداية العصر الذي لا يحتاج إلى ذبائح. فالذبيحة كانت وسيلة غفران الخطايا. (5) لاحظ ان توما لم يكن مع التلاميذ وبالتالي لم يسمع الكلمات اقبلوا الروح القدس ولاحظ ان المسيح لا يقول لتوما فيما بعد اقبل الروح القدس. (6) لاحظ ان يوحنا وعلى

رؤية المسيح وإلا فإن يؤمن. بالرغم من عدم وجود المسيح بشكل مرئي حين شدد توما على أهمية رؤية المسيح إلا ان المسيح سمع اقوال توما كما يسمع اقوال كل واحد منا. وبعد ثمانية ايام جاء المسيح ليواجه عدم ايمان توما.

كانت لتوما الكثير من الاسباب ليؤمن: فالقبر فارغ، وتشهد الكثير من نبوات العهد القديم ان المسيح يجب ان يموت ثم يقوم، وتؤكد تعاليم المسيح لتلاميذه قبل صلبه أهمية موته وقيامته. ولقد شهدت مريم للتلاميذ انها رأت الرب، وشهد التلاميذ انهم رأوه. ولكن توما لم يقتنع بكل هذه الأدلة. وشدد قائلاً "إن لم أبصر في يديه اثر المسامير وأضع اصبعي في اثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن" (يو 20: 25). فظهر له الراعي الصالح ليزيل عدم إيمانه ويزرع فيه الإيمان، ثم دعاه المسيح ان يلمس جروحه فجراح الراعي الصالح فيها الشفاء لمرض عدم الإيمان. لقد اكتفى توما برؤية المسيح الحي وقال "ربي وإلهي" (يو 20: 28). بكلمات اخرى، قال توما انت الرب لي (ὁ κύριος μου – هو كورينوس مو) وانت الله لي (καὶ ὁ θεὸς μου – كاي هو ثيوس مو). تحول توما من عدم الإيمان إلى الإيمان الكامل بالوهية المسيح وربوبيته.³⁵

الارجح القارئ يعرف عن يوم الخمسين وعن انسكاب الروح القدس وأن هناك فرقاً بين القبول المذكور هنا وانسكاب الروح القدس في اعمال 2.

من خلال هذه الملاحظات نستطيع ان نقول ان قبول الروح القدس في يو 20: 22 هو ليس يوم الخمسين حين انسكب الروح القدس. ثانياً، نستطيع ان نقول ان أهمية قبول الروح القدس مرتبطة بالإرسالية (يو 20: 21) وبغفران الخطايا (يو 20: 23). ثالثاً، نستطيع ان نقول أن فعالية هذا الامر لم تتم بسرعة. لم يذهب التلاميذ بالإرسالية، ولم يبدؤوا بخدمة غفران الخطايا، ولم يكن كل التلاميذ حاضرين. وهكذا قد نقول ان قبول الروح القدس لم تبدأ فعاليته في تلك اللحظة. اصف إلى ذلك، إن غفران الخطايا مرتبط بالإرسالية أي بنشر الاخبار السارة. فالذين يقبلون ارسالية التلاميذ والأنجيل يغفر الله لهم والذين يرفضون الانجيل لا يحصلون على الغفران. ويعلن التلاميذ هذا الامر بسلطان من الله. تم اعلان التلاميذ للبشارة بعد صعود المسيح وانسكاب الروح القدس.

³⁵يقول بعض الناس من بدعة شهود يهوه أن المسيح هو اله اي "ثيوس" (θεός) وهو ليس الله اي "هو ثيوس" (ὁ θεός)، فغياب ال التعريف (anarthrous) هو دليل على أن الوهية المسيح اقل رتبة من الوهية الله. ولكن اعلان توما يتعارض مع إيمانهم فهو يستخدم الكلمة ثيوس مع ال التعريف. اصف إلى ذلك، إن مفهوم شهود يهوه خاطئ. فهم لا يفهمون القواعد اليونانية بصورة صحيحة. إن الإصحاح الأول من يوحنا يقول ان الكلمة المتجسد هو "ثيوس" بدون ان يستخدم ال التعريف ولكن الرسول يوحنا لا يستخدم ال التعرف اليونانية في نفس الاصحاح قائلاً: "كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا" (يو 1: 6)، أو "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا اولاد الله" (يو 1: 12)، أو "الذين ولدوا ليس من دم، ولا من

خامسا، دعا المسيح سمعان بن يونا باسمه (راجع يو 21: 15 - 17). كان سمعان الخروف الذي ضل بانكاره للمسيح (يو 18: 15 - 18، 25 - 27). فلقد انكر المسيح المتجسد عندما كان يصطلي حول الجمر (يو 18: 18) وها هو المسيح المُقام من بين الاموات يضع جمرا امام بطرس ليذكره من اين سقط ويدعوه إلى بناء علاقة صحيحة مع سيده المسيح. كانت هذه هي المرة الثالثة التي يظهر فيها المسيح لبطرس (يو 21: 14). وبعدها اكل بطرس سأل المسيح تلميذه عن محبته للراعي ثلاثة مرات. حزن بطرس على تسرعه عندما وثق في قوته، فلقد قال (1) "أني اضع نفسي عنك" (يو 13: 37)، (2) "إني مستعد أن امضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت!" (لو 22: 33)، (3) "إن شك الجميع فأنا لا اشك . . . ولو اضطررت أن اموت معك لا أنكرك" (مر 14: 29 - 31 / مت 26: 33 - 35). حزن بطرس لانه لم يقتنع بكلام المسيح الذي حذر من ضرب الراعي وتبدد الرعية (مت 26: 31). وحزن ايضا انه انكر سيده ثلاث مرات بالرغم من اقواله الكبيره. أعان الراعي الصالح خروفه بطرس ان يكتشف ان الرب يعرف كل شيء. إن الله يعرفنا افضل من معرفتنا لنفسنا. إنه يعرف مستقبلنا. ولقد وضع الراعي سمكا وخبزا امام بطرس فذكره بآية تكثير الخبز والسمك عندما اراد الناس ان يجعلوا يسوع ملكا. ادرك الناس أن يسوع هو المسيا ولكنهم تراجعوا حين اعلن انه الخبز النازل من السماء الذي يبذل نفسه من اجل العالم (يو 6: 41). في ذلك الوقت، اصر بطرس على اتباع المسيح قائلا إلى من نذهب فكلام الحياة الابدية عند المسيح. وفي نفس الاصحاح، قال بطرس ان يسوع هو المسيح ابن الله الحي (يو 6: 68 - 69). لقد ذكرّ المسيح بطرس بضعفه بواسطة الجمر وذكره بقوة الإعلان الذي قاله بواسطة السمك والخبز. فكيف يغلب الموت ابن الله الحي؟ وبفضل عمل الراعي تحول بطرس من الخروف الناكر الى الخروف الامين. وبدلا من ان يقول له المسيح انه سينكره اعطاه رسالة مختلفة. قال له المسيح "الحق الحق اقول لك: لما كنت اكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء. ولكن متى شخت فإنك تمد يديك وآخر يمنطقك، ويحملك حيث لا تشاء" (يو 21: 18). بكلمات اخرى، سيكون بطرس امينا حتى الشيخوخة. وسيكون امينا في الشيخوخة. سيضع حياته بسبب امانته للرب يسوع ولن ينكر المسيح بعد الآن. لقد قال بطرس بتهور "أني اضع نفسي عنك" (يو 14: 37) معتمدا على قوته. ففشل في المحافظة على كلمته. وأما الآن، يشرح له سيده انه سيضع نفسه لأجل المسيح بسبب قوة الله في حياته. وسيكون امينا حتى الموت.

مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو 1: 13)، او "الله لم يره احد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خير" (يو 1: 18). من الواضح أن الرسول يوحنا يستخدم الكلمة "ثيوس" بدون ال التعريف ليتحدث عن الله.

اضف إلى ما سبق، عبر الراعي الصالح عن محبته لخرافه عندما طلب من بطرس ان يرعى غنمه. اراد الراعي الصالح ان يقيم راعيا على خرافه مؤكدا الامور التالية. اولاً، الرعاية دعوة الهيبة شخصية وليست منصبا مرموقا. ثانياً، الغنم هي ليست غنم بطرس بل غنم الرب. لاحظ تأكيد المسيح على هذا الامر عندما قال ارع خرافي، ثم قال ثانية ارع غنمي، ثم قال الثالثة ارع غنمي مستخدماً حرف الياء ليبدل على أن الغنم هي ملك المسيح (يو 21: 15 - 17). ثالثاً، الدافع في رعاية الغنم هو ليس محبة الغنم بل محبة الرب وطاعة صوته. لهذا سأل المسيح بطرس "اتحبنى" ثلاثة مرات (يو 21: 15 - 17) قبل أن يقول له ارع غنمي. من الواضح أن المسيح ربط دعوته لبطرس أن يرعى الخراف بمحبة بطرس له. رابعاً، لم يدعو الله بطرس بسبب امكانياته ومؤهلاته بل بسبب خطة الله التي تؤهل المدعوين ولا تحتاج ان تدعو المؤهلين.

الفصل الرابع

أنا هو الباب (يو 10 : 9)

تقول احدى القصص انه كان هناك حائط عظيم يقسم غابة كبيرة إلى قسمين.³⁶ القسم الاول جميل ومريح وملآن بالزهور والثمار والانهار وخالي من المشاكل والوحوش. اما القسم الثاني فكان ملآن بالمشاكل والاشواك والوحوش. اجتمعت حيوانات الغابة في القسم السيء لتناقش كيفية انتقالهم إلى القسم الجيد. وكان لقاءهم بجانب الحائط العظيم.

اقترح الفيل ان يفتح ثغرة بالحائط عن طريق تسديد ضربة قوية برأسه الصلب. ثم ركض من مسافة بعيدة ليكتسب قوة اضافية وجاء بسرعة وبجرأة وضرب الحائط برأسه. سالت الدماء من رأس الفيل وتآلم تآلماً شديداً. لم ينجح الفيل في اختراق الحائط العظيم. واستغربت الحيوانات من قوة الحائط.

فاقترح القرد ان يتسلق الاشجار الموجودة بقرب الحائط. فربما تتشابك الاشجار بين طرفي الحائط وحينها يستطيع البعض ان يذهبوا إلى القسم الجيد الخالي من المشاكل. بدأ القرد بتسلق الاشجار وبعد عدة ساعات من التسلق السريع ادرك القرد ان الحائط شديد الارتفاع وانه اعلى من كل الاشجار بمسافات كبيرة. عاد القرد مع تقريره الحزين مخبراً عن فشل خطته في الوصول إلى القسم الجيد.

وعندما سمعت الحية صاحبة الدهاء هذا الامر، اقترحت ان تدخل من خلال التراب إلى القسم الجيد. فبدأت بحفر التراب واختفت تحته لساعات طويلة وبعد فترة ليست قصيرة عادت الحية بوجه حزين. قالت إن الحائط له اساس صخري صلب كالصوان. ولقد نزلت تحت الارض ولكني لم اجد مدخلا إلى القسم الجيد.

تعالت اصوات الحيوانات محتارة ومتسائلة. حينها تقدم الثعلب مقترحاً أن يركض حول الحائط. فليس من المعقول أن يكون هذا الحائط بلا نهاية. وافقت الحيوانات على اقتراح الثعلب. وذهب الثعلب

³⁶ لقد قرأت هذه القصة قبل سنوات كثيرة وللأسف الشديد لا اذكر المرجع. اصف إلى ذلك، تطورت تفاصيل القصة في رأسي بطريقة تختلف عن القصة الاصلية التي قرأتها.

راكضا ليدور حول الحائط. وبعد عدة ايام من الركض السريع، ادرك الثعلب ان الحائط العظيم ليس له حد. فعاد حزينا إلى الحيوانات ليخبرهم عما جرى معه.

حزنت الحيوانات بشدة. وفجأة تقدمت السلحفاة المُسنة صاحبة النظارات السميقة. قالت لهم الا تستطيعون ان تقرأوا وتلاحظوا الكتابة على الحائط والاحرف التالية: ي س و ع. ولقد اخبرني آبائي واجدادي ان هذا السور العظيم هو الخطية التي تفصلنا عن القسم الجيد. لا نستطيع ان ندخل إلا من خلال المدخل او الباب الذي كُتب عليه الاحرف التي قرأتها على مسامعكم. نعم، أيها الاحباء إن يسوع هو الباب. هو الباب الوحيد الذي يقودنا إلى الخلاص وإلى المرعى الجيد. دعونا نتأمل في قول يسوع في يوحنا 10. قال يسوع "الحق الحق اقول لكم: إني أنا باب الخراف. جميع الذين اتوا قبلي هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم. أنا هو الباب. إن دخل بي احد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى" (يو 10: 7 - 9).³⁷

من يدخل؟

من يقدر ان يدخل إلى المكان الذي اعده الله أو إلى المرعى الجيد أو إلى ملكوت الله؟ كان هذا موضوع الحوار بين نيقوديموس ويسوع. اعترف نيقوديموس بآيات المسيح (يو 3: 2) وهكذا تشابه مع الفئة التي آمنت إذ رأت الآيات ولكن يسوع لم يقبل هذا النوع من الإيمان (يو 2: 23 - 25). فهذا النوع من الإيمان يقبل قدرات وامكانيات الله بدون ان يختبر انقلابا في طبيعة المؤمن. لا يأتين يسوع نفسه لهم

³⁷قد يُوجد ترابط بين المرعى الجيد وارض الميعاد. يبدو أن يوحنا يحاول إعادة تعريف بعض اساسيات الإيمان اليهودي. فهو يشرح ان الله يريد ان يعطي الشعب هيكلًا جديدًا (يو 2: 21) غير مصنوع من الحجارة وهكذا يعيد تعريف مفهوم المكان المقدس (يو 4: 20 - 24). ويحاول يوحنا ايضا أن يغير مفهوم اليهود عن السبت (يو 5: 16 - 18) وعن معنى بنوة ابراهيم (يو 8: 31 - 59) وعن تجربة شعب اسرائيل في البرية حين اعطاهم الله الخبز والماء والنور. فيقول أن المسيح هو خبز الحياة (يو 6: 48) وانه مصدر الماء الذي يروي (يو 7: 37) وأنه نور العالم (يو 8: 12). وبعد الحديث عن البرية نتوقع الوصول إلى ارض الميعاد. فيحدثنا يوحنا 10 عن المرعى الجيد مستخدما عبارة غير شائعة. يقول أن الذي يدخل إلى المرعى الجيد "يدخل ويخرج ويجد مرعى". يستخدم سفر العدد عبارة مشابهة متحدثا عن الدخول إلى ارض الميعاد وعن شعب إسرائيل كغنم بحاجة إلى راعي. يصلي موسى إلى الله قائلا: "لِيُوكَلِّ الرب اله ارواح جميع البشر رجلا على الجماعة. يخرج امامهم ويدخل امامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها" (عد 27: 17). كان هذا الرجل هو يسوع في العهد القديم وهو يسوع في العهد الجديد. ومعنى الاسمين واحد وهو مخلص. ربما يكون هذا التشابه مقصودا ليخبرنا ان المرعى الجيد الذي يقودنا إليه المسيح هو ارض الميعاد الحقيقية.

لأن تعلق هذا النوع من المؤمنين هو تعلق جسدي مبني على الاعجاب ببطل ارضي. يتعلقون بيسوع ما دامت الامور بلا تكلفة. إنهم اصحاب ايمان الليل الذين لا يريدون ان يعلنوا عن إيمانهم تحاشيا لكل التحديات.³⁸ وهناك عدة سمات في حياة هذا النوع من المؤمنين ونرى هذه السمات في حياة نيقوديموس.

يصف يوحنا نيقوديموس بالصفات التالية: فريسي، رئيس لليهود (3: 1)، شيخ (3: 4)، ومعلم اسرائيل (3: 10). ويذكر الكتاب المقدس نيقوديموس في خمسة مواقع: يو 3: 1، 4، 9 / يو 7: 50 / 19: 39. ينتمي نيقوديموس إلى مجموعة الكتبة والفريسيين. يقول يوحنا "قال لهم نيقوديموس، الذي جاء اليه ليلا، وهو واحد منهم . . ." (يو 7: 50).³⁹ ويضيف يوحنا ان نيقوديموس الذي جاء إلى يسوع ليلا اخذ جسد يسوع وكفنه بحسب عادة اليهود وتعاون مع يوسف الذي من الرامة في وضع جسد يسوع في القبر خفية بسبب الخوف من اليهود (يو 19: 38 - 42).

يؤكد يوحنا ان نيقوديموس جاء ليلا (يو 3: 2 / 7: 50 / 19: 39). ويبين يوحنا ان نيقوديموس تحدى الكتبة والفريسيين مؤكدا على العدالة المعلنة بالناموس. فمن غير المعقول ادانة إنسان بدون مواجهته وسماع اقواله (يو 7: 51). إلا ان نيقوديموس لم يرد ان يدفع تكلفة الدفاع عن يسوع. فعندما هاجمه الآخرون متهمين ولاءه لأورشليم وفهمه لاصل الانبياء صمت ولم يقل شيئا. فلقد تحول سؤاله اللاهوتي إلى صراع شخصي قد يقود إلى فقدانه مكانته المهمة بين قادة الشعب وربما يقود إلى اخراجه من المجمع كما حصل مع المولود اعمى (يو 9: 34). وبدلا من اظهار ان يسوع جاء معلما من الله قرر نيقوديموس ان يمضي إلى بيته اما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون (يو 8: 1). مضى المسيح الى المكان الذي شاهد فيه بيت الله وإلى المكان الذي سيكون فيه عندما يقبضون عليه (يو 18: 1 - 11). لم يُخف يسوع نفسه بالرغم من خطر الموت بينما اخفى نيقوديموس اعجابه بالمسيح لئلا يدفع الثمن.

³⁸ كان نيقوديموس من هذا النوع فأراد ان يتبع المسيح بالليل وليس بالنهار. يذكر يوحنا نيقوديموس مؤكدا انه جاء ليلا (راجع يو 3: 2 / 7: 50 / 19: 39).

³⁹ لا يقول يو 7: 50 في النص اليوناني أن نيقوديموس قد جاء ليلا ولكنه يربطنا مع يوحنا 3 اذ يصف نيقوديموس بالقول: "وهو الذي جاء قبلا إلى يسوع" (يو 7: 50، ترجمة جمعية الكتاب المقدس). فالنص اليوناني يستخدم كلمة "قبلا" وليس كلمة "ليلا" إلا ان المعنى واحد. فالذي جاء قبلا هو الشخص الذي جاء ليلا.

وعندما مات المسيح انضم نيقوديموس إلى يوسف تلميذ المسيح الذي كان عضواً في السنهدرين (مر 15: 43).⁴⁰ انضم نيقوديموس إلى من يخاف اليهود ويتحرك خفية. أراد ان يكرم المسيح ولكن ليلا وبدون معرفة الناس. جاء ليلا حاملاً مزيج مر وعود نحو مئة منا (يو 19: 39). أراد ان يكرم المسيح فجاء حاملاً خمسين كيلوغرام من الاطياب. يعادل المنا نصف كيلوغرام ومئة منا تعادل خمسين كيلوغرام. وبينما احضرت مريم منا واحد من الطيب لتدهن قدمي يسوع (يو 12: 3) احضر نيقوديموس مئة منا مر وعود. فعلى الأرجح استخدم نيقوديموس ويوسف بعض الخدم في حمل الاطياب والاكفان وجسد يسوع. اكرموه ولكن لم يكن اكرامهم كافياً. فلقد اختار المسيح مريم التي استخدمت الطيب امام الجميع لتكرم يسوع وفضلها على نيقوديموس معلم اسرائيل ويوسف عضو السنهدرين. فبينما اكرمت مريم المسيح امام الجميع جاء نيقوديموس ويوسف ليلا ليكرما جسده الميت. كان اكرامهم ناقصاً. وضعوا جسد المسيح في قبر جديد. ولم يضعوه في قبر العائلة او مع عظام اخرى لئلا ينجسها. فجسد المعدم صلباً يُعتبر نجساً بحسب تفسير الفريسيين لشريعة المعلق على خشبة. يقول الكتاب "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت، فقتل وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله. فلا تتجس ارضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً" (نت 21: 22 - 23). لهذا ارادا نيقوديموس ان يدفن المسيح. شارك نيقوديموس يوسف بوضع جسد يسوع في قبر جديد. فمن الجائز ان نقول انهم وضعوه في قبر جديد لئلا ينجس عظام الاموات الذي ماتوا قبله. فهو ملعون من الله.⁴¹

بالرغم من حسنات نيقوديموس وتعلقه بيسوع كمعلم من الله ومحاماته عن يسوع بعض الوقت واکرامه لجسد يسوع إلا انه كان مؤمن الليل في نظر يوحنا. لم يكن إيمانه كافياً بحسب مقاييس النهار. قال له المسيح ان عليه ان يولد من فوق او ان يولد من الماء والروح حتى يدخل ملكوت الله. يجب ان يولد نيقوديموس ثانية قبل ان يستطيع ان يدخل من الباب.

⁴⁰Carson, 629.

⁴¹يوضح كارسون ان اليهود لم يرفضوا قبر الاموات الارهابيين. إلا انهم لم يقبروهم في قبر العائلة لئلا ينجسوا المقبورين. ويشرح كارسون افكار يوسيفيوس (اثريات، 5: 44) المتعلقة بقبر المجرمين خارج المدينة وخارج قبور العائلة بهدف عدم تتجيس قبور افراد اسرتهم. كارسون (Carson)، 629.

يجب ان يصبح نيقوديموس خروفا قبل ان يدخل من الباب الذي يتكلم عنه الاصحاح العاشر من يوحنا. جاء نيقوديموس معتقدا ان كل اليهود يدخلوا الملكوت ما عدا الحالات الشاذة جدا.⁴² وها هو المسيح يقول لرئيس اليهود وللشيخ المدعو بمعلم اسرائيل انه يجب ان يُولد من فوق او ثانية حتى يدخل ملكوت الله او حتى يدخل من باب الخلاص.

الخروف الذي اراد ان يصير اسدا

وهنا اتذكر قصة الخروف الذي اراد ان يصبح اسدا. ذهب الخروف إلى قرد الغابة وقال له كيف استطيع ان اصبح اسدا. فرك القرد رأسه وقال إن امسكت قطعة لحم في فمك وزأرت مثل الأسد حينها تصبح اسدا. فرح الخروف بالامر وامسك بقطعة اللحم وسار في الغابة محاولا ان يزأر مثل الاسد فضحكت حيوانات الغابة على غبائه. غضب الخروف وعاد للقرد باحثا عن طريقة اخرى. اقترح القرد ان يلبس الخروف لافطة تقول: "انا اسد". قال الخروف انها فكرة ذكية جدا. ولبس الخروف اللافطة وسار في الغابة مفتخرا. وعندما قابلته الحيوانات رفض ان يتكلم بل اوماً باصبعه إلى اللافطة. ثم صار في طريق ضيق وكان في الجهة الاخرى مقابله حمار عجوز نسي نظاراته في البيت. اصر الخروف، منتحل شخصية الاسد، قائلا للحمار افسح الطريق وإلا اكلتك. استغرب الحمار من الامر وقال صحيح اني انا حمار وقد نسيت نظاراتي إلا انني ادرك كل الادراك انك خروف. حينها هجم الحمار على الخروف وضربه. حزن الخروف وذهب إلى كهف ليكي فقايله اسد جائع والتهمه فخرس الخروف كل شيء.

وهنا نسأل، كيف استطيع هذا الخروف ان يصير اسدا؟ لن تجعله التغييرات الخارجية اسدا بل عليه ان يولد ثانية، عليه ان يُولد اسدا. قال يسوع لنيقوديموس "إن كان احد لا يولد من فوق (او ثانية) لا يقدر ان يرى ملكوت الله" (يو 3: 3).⁴³ وقال ايضا "إن كان احد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله" (يو 3: 5).

⁴²المشنا، سنهدرين 10: 1.

⁴³لاحظ ان كلمة "من فوق" في اليونانية تعني ايضا "ثانية".

فما هي الولادة من الماء والروح؟ فسر الناس هذا الامر بعدة طرق.⁴⁴ اولاً، هل يتحدث يوحنا عن ولادتين؟ المولود من الماء هو الشخص المولود ولادة طبيعية أي عندما يخرج الطفل من بطن امه وعند خروج السوائل من بطنها. ويدعو بعض الناس هذا الامر بإنكسار الماء. والمولود من الروح هو المولود ولادة روحية من الله عندما يؤمن. ثانياً، هل يتحدث يوحنا عن المعمودية؟ المولود من الماء والروح هو الشخص المعتمد في الكنيسة. ولكن ماذا عن التفسير التاريخي؟ فلقد تحدث يسوع مع نيقوديموس قبل ظهور المعمودية الكنسية. ثالثاً، المولود من الماء هو الشخص الذي قبل المعمودية يوحنا اما المولود من الروح فهو الشخص الذي اختبر الميلاد الثاني. ولكن إن كانت المعمودية يوحنا ضرورية للخلاص فلماذا توقف المسيحيون عن ممارستها؟ رابعاً، قال البعض ان ماء الطقوس وحده غير كاف بل يجب ان تكون الولادة من الماء والروح. ولكن لا توجد مقارنة في النص بين الماء والروح. بالعكس يربط الكتاب بينهما. خامساً، شرح البعض ان الماء هو التوراة او كلمة الله والروح هو الروح القدس. لاحظ ان الروح لم يكن قد اعطي بعد إلا ان يسوع يوبخ نيقوديموس على عدم فهمه.⁴⁵ سادساً، نوه البعض ان الكلمتين اليونانيتين الماء والروح تفتقران إلى "ال" التعريف. وهكذا قد تعني العبارة: ماء وريح. فيجب ان نفهم العبارة ان المولود ثانية هو مولود من الماء والريح. لا عجب ان يحتار الإنسان امام كل هذه التفاسير.

ولكن لكي نفهم العبارة "الماء والروح" بشكل جيد علينا ان نلاحظ ما يلي.⁴⁶ (1) هناك توازي بين العدد الثالث والعدد الخامس (من فوق وثانية). فالمولود من فوق او ثانية هو نفس الشخص المولود من الماء والروح. (2) حرف الجر "من" يشمل الكلمتين ماء وروح في وحدة واحدة. فلم يقل النص المولود من الماء ومن الروح. (3) يوبخ يسوع نيقوديموس على عدم فهمه وبالتالي يوجه انظارنا إلى العهد القديم كمصدر للتفسير الصحيح. انظر على سبيل المثال حز36: 25 - 27. يضيف كارسون ان المقصود هو

⁴⁴Carson, 191-196.

⁴⁵المزيد من المعلومات عن الولادة في العهد القديم وعلاقتها مع العصر المسياني راجع Yohanna Katanacho, "Investigating the Purposeful Placement of Psalm 86" (Ph.D. diss., Trinity International University, 2006), 151-154.

⁴⁶Carson, 194.

"روح" وليس الروح القدس اي ان المولود سيكون له طبيعة روحية مستمدة من الله.⁴⁷ فكيف يطلب يسوع من نيقوديموس ان يُولد من الروح والروح القدس لم يعط بعد.

بايجاز، يريد المسيح من نيقوديموس ان يختبر علاقة مع الله بواسطة الميلاد الثاني. انه ميلاد روحي وليس جسدي. انه ميلاد ينتج عن عمل الروح التي تهب حيث تشاء (يو 3: 8). انه ميلاد مرتبط بنشاط الروح القدس وبمحنة الاب الذي بذل الابن على الصليب. وكل من يؤمن بالابن ينال الحياة الابدية.

من لا يدخل

هناك فئة لا تدخل من الباب ولا تريد ان تدخل من الباب الذي هو يسوع المسيح. يريدون الوصول إلى المرعى الجيد ولكن دون المرور عبر يسوع. يصف يوحنا هذه الفئة بكلمة سارق ولص (يو 3: 1). لا يحق لأحد ان يدخل الباب الذي يقود إلى المرعى الجيد بدون يسوع المسيح. من لا يدخل من الباب فهو سارق وارهابي. كلمة "لص" اليونانية تعني ارهابي ومخرب. كل من يحتقر قيمة الباب واهمية دوره فهو سارق وارهابي. لا يحق له ان يكون في حظيرة الخراف. يأتي السارق واللصوص باهدافهم الانانية طالبين سلب الخراف وليس بذل انفسهم من اجل حياة الخراف. اللصوص فئة تحب ذاتها اكثر من محبتها لله وللقرى. وعندما قال المسيح "جميع الذين اتوا قبلي هم سارق ولصوص" (يو 10: 8)، فإنه لم يقصد الانبياء (موسى، صموئيل، ايليا، ارميا، يوثيل، الخ) الذين سبقوه. ولكنه قصد المسحاء الكذبة الذين استغلوا الغنم لخدمة افكار الناس وليس فكر الله. وهناك مجموعات اخرى لن تدخل من الباب. فلن يدخل الغريب من الباب لأن البواب لن يفتح له. ولن يدخل الذئب من الباب لأنه لا يريد ان يواجه الراعي بل يريد خطف الغنم.

في الختام يبقى السؤال: هل انت من الذين يدخلون الباب او من الذين لا يدخلون. إن الإيمان بالمسيح وقبوله مخلصا وربما هو الطريق الوحيد للدخول. آمن نوح ودخل الفلك وعندما جاء الطوفان نجا نوح من الدينونة لأن الله حفظه واغلق باب الفلك. وهنا، المسيح هو الباب الذي يحفظ الخراف ويمنع عنها الذئب الشرس. ويقول المسيح "خرافي تسمع صوتي، وأنا اعرفها فنتبعني وأنا اعطيها حياة ابدية، ولن

⁴⁷المرجع السابق، 195.

تهلك إلى الابد، ولا يخطفها احد من يدي" (يو 10: 27 - 28). من يدخل من الباب سيحصل على الحياة الابدية والحماية الإلهية والرعاية السماوية. فالرب سيكون راعيه ولن يعوزه شيء بل سيرعى في مراعي خضر ويرتوي عند مياه الراحة (مزمور 23).

الفصل الخامس

أنا هو القيامة والحياة (يو 11: 25)

ماذا يحدث لنا عندما نموت؟

هل تخاف من الموت؟ هل اعددت نفسك لنهاية حياتك؟ اعرف إنسانا استعد لموته عن طريق الذهاب إلى حماميه الذي كتب وصيته. قسّم هذا الإنسان الميراث على بنيه وبناته بالتساوي. اعطى البعض بيوتا والبعض الآخر شركته وبعضهم ممتلكات اخرى. كان مثل إنسان يُعد نفسه لرحلة فتأكد ان بيته وممتلكاته مؤمنة قبل أن يسافر ولكنه لم يعمل حسابا في اي فندق سينزل عندما يصل البلد الاخرى. لم يفكر باللغة التي تتكلمها تلك البلد. أعد نفسه للرحيل ولكنه لم يكن مستعدا للوصول إلى الجهة الأخرى. فماذا يوجد بعد الموت او بعد رحيلنا عن هذه الحياة؟

هل الموت هو نهاية كل شيء؟ ما هو الموت؟ يُعرّف العلماء الموت بأنه نهاية الحياة البيولوجية ويقولون ان الموت هو حالة وحدث. وقد تتحرك اجزاء الجسم بعد الموت إلا أنها ميتة علميا (Postmortem Spasm). وتحافظ بعض الاعضاء على مظاهر الحياة لفترة اطول من البعض الآخر. فقد تكون خلايا العين حية لعدة ساعات. وقد يستمر القلب بالخفقان والرئتان بالتنفس حتى بعد الموت. وفي عصرنا قد يبقى الإنسان على "قيد الحياة" بدون عمل القلب او الرئتين ولكن بواسطة ادوات تكنولوجية حديثة. ويُعرّف بعض العلماء الموت بحسب موت الدماغ عندما تتوقف النشاطات في الدماغ كليا وباستمرار وعندما لا يكون هناك وعي.

وبعد الموت يصفّر لون الإنسان بسبب عدم سريان الدم في الأوعية الدموية (Pallor Mortis) وتتنخفض درجة حرارة الجسم (Algor Mortis). ثم خلال بضع ساعات تتصلب العضلات وتحدث تغيرات كيميائية فيها (Rigor Mortis) ويتصلب كل الجسد خلال اثنتي عشرة ساعة او اكثر بحسب درجة الحرارة المحيطة بالميت. ويكون الجسد في حالة ارتخاء تام بعد نحو ستة وثلاثين ساعة من الموت. ويتحلل الجسم وقد يأكله الدود او انواع معينة من الصراصير.⁴⁸ يا لها من نهاية حزينة لافضل مخلوقات الكرة الارضية! حقا، يصدق المثل القائل "كلب حي خير من اسد ميت" (جا 9: 4).

⁴⁸Encyclopedia Wikipedia. *Death*. Available from <http://en.wikipedia.org/wiki/Death>. Accessed on May 13, 2007.

ماذا نتعلم من موت لعازر؟

يختلف حديث الكتاب المقدس عن الموت. فدعونا نذهب إلى جنازة لعازر ونتأمل بكلمة الله في انجيل يوحنا لنكتشف معا لاهوت الجنازات. عندما نقرأ الاصحاح الحادي عشر من انجيل يوحنا يجب علينا أن نلاحظ عدة امور. اولاً، من الافضل ان نفهم قصة لعازر في إطار طلب القضاء على يسوع لأن القصة مُحاطة بنصوص تبين رغبة اعداء المسيح في القبض عليه والتخلص منه (يو 10: 39 / 11: 53 - 54، 57). ثانياً، يجب ان نربط قصة لعازر بدهن المسيح بالطيب وبالتالي بموته وتكفينه لأن بداية قصة لعازر تذكر قصة دهن المسيح بالطيب وبداية رواية سكب الطيب على يسوع تذكر قيامة لعازر من الأموات (يو 11: 2 / 12: 1، 7). بكلمات اخرى، يريدنا يوحنا ان نربط القصتين معا. ثالثاً، علينا ان ندرك ان إقامة لعازر كانت سبباً رئيسياً في الحكم على يسوع بالإعدام (يو 11: 53) وفي ذات الوقت بقبول الجموع بيسوع كملك اسرائيل (يو 12: 13، 17 - 18). رابعاً، ترتبط رواية لعازر بالإيمان بالمسيح. يبدأ الاصحاح الحادي عشر بحرف الواو (دي - δέ) رابطاً رواية لعازر مع شهادة يوحنا التي آمن من خلالها الكثيرون (يو 10: 42). وكما آمن كثيرون بالمسيح عن طريق يوحنا المعمدان آمن كثيرون به بواسطة لعازر (يو 11: 45 / 12: 11). في ضوء هذه الأطر التفسيرية نؤكد ما يلي:

اولاً، هناك تسلط للموت ووسائله الفتاكة (يو 11: 4). يهدد الموت لعازر بالمرض. وفي عالمنا الساقط نذكرنا الامراض والآلام بسقوط آدم وبالخطية وبشوق البشرية إلى الصحة. ويقترب الموت من المسيح حين هدده الناس بالرجم (يو 11: 4، 8). تطور الخلاف بين المسيح ورجال الدين فاستخدموا العنف ليحققوا رغباتهم. يستخدم الكثير من اتباع الظلمة العنف الكلامي والعنف الجسدي ضد الضعفاء خاصة المرأة والأولاد. وللأسف، بلادنا العربية مليئة بظاهرة العنف. ويستخدم الموت اسلحة الخوف والتشائم ضد توما (يو 11: 16). ولقد عبر توما عن خوفه عندما قال لنذهب إلى اليهودية لنموت فخطر القضاء على يسوع قوي (راجع يو 10: 39، 11: 53). فبعد ان سمعنا عن إماتة الآخرين بالرجم (homicide)، نسمع عن قرار توما المتشائم لأنه يظن أن خياره وسلوكه بإتباع خطة المسيح سيقودان إلى حتفه. وهكذا يعبر عن اختياره الموت لنفسه (suicide). بالفعل هناك خوف من الموت في حياة توما. وهناك استياء من توقيت الموت في حياة مرثا ومريم (يو 11: 21، 32). ونحن نوافق على بشاعة الموت ورهبته وجبروته في التسلط على الصغار والكبار. فماذا سنقول للمسنين الذي سيواجهون الموت عن قريب؟ وماذا سنقول عن الشباب الذين سيقعون في فخ الموت بعد لحظات؟ وماذا عن اولئك الاطفال الذين يتربص الموت بهم؟

اضف إلى ذلك يحدثنا المسيح عن موت آخر. يقول "الحق الحق اقول لكم: إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني فله حياة ابدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق اقول لكم: انه تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون لأنه كما ان الأب له حياة في ذاته كذلك اعطى الابن ايضا ان تكون له حياة في ذاته" (يو 5: 25 - 26). نرى من خلال هذا النص ان المسيح اله مستقل له حياة في ذاته مثله مثل الأب. لا يوجد احد عنده حياة في ذاته إلا الله. هذه الحياة ازلية فيوحنا يحدثنا انه في الله الابن كانت الحياة اي انها كانت كائنه (يو 1: 4).⁴⁹ والله الابن يحي من يشاء. ايضا، ليس كل الاموات في القبور الصخرية بل هناك اموات في قبور لحمية، هناك اموات بالخطايا والذنوب. يوجد بشر يعيشون في دائرة حكم الموت لأنهم لا يؤمنون بالذي ارسله الأب. كانت هذه الفئة موجودة في جنازة لعازر حين صلى المسيح طالبا لاجل الجمع ان يؤمنوا ان الأب ارسله (يو 11: 42). حصل بعضهم على الحياة وقاموا من موتهم (يو 11: 45) واما قوم منهم ففضلوا طريق الموت. وهكذا نستطيع ان نقول ان المسيح لم يواجه موت لعازر فقط بل موت الحاضرين في جنازة لعازر. لم يواجه قبرا واحدا بل قبورا كثيرة. بعضهم قبر نفسه في الروتين والتفاسير الدينية فلم يعد لاهوتهم وتفكيرهم يسمح بمفاجئات الله. مثلا، قالت مرثا سيقوم لعازر في القيامة. وظن الجمع ان المسيح يقدر ان يفتح عيني الاعمى ولكنه لا يقدر ان يقيم لعازر من بين الأموات (يو 11: 37). لم يفكروا أن المسيح يستطيع ان يقيم لعازر من بين الأموات الاموات وأن يقيمهم من محدودية إيمانهم وتعاليمهم اللاهوتية الضيقة. اجاب يسوع مرثا جوابا مفاجئا قائلا "انا هو القيامة والحياة" (يو 11: 25). وقال يسوع للجمع امرا غريبا ارفعوا الحجر (يو 11: 39). جاء القيامة والحياة إلى دائرة الموت إلى جنازة فيها ميت مقبور واموات كثيرون يتحركون خارج القبر. لن تبقى المقبرة كما هي بعد ان يدخلها يسوع ولن يبقى الاموات كما هم بعد ان يواجهوا القيامة والحياة وجها لوجه. يا لنعمة الله فلقد جاء القيامة والحياة إلى كل المقبورين!

ثانيا، هناك قوة مضادة للموت ونهاية بديله عنه ستقود إلى مجد الله. يقول يوحنا انه لما سمع يسوع عن مرض لعازر قال "هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به" (يو 11: 11).

⁴⁹تستخدم الترجمات العربية كلمة "كان" لتعبر عن كلمتين يونانيتين مختلفتين. الكلمة الأولى "اين" (ἦν، يو 1: 1) تعني كان كائن اي انه ليس له بداية. اما الكلمة الثانية فهي "ايجينيتو" (ἔγενετο، يو 1: 3) وتعني شيء له بداية. لم يستخدم يوحنا الكلمة الثانية ليعبر عن علاقة الحياة بالمسيح. بكلمات اخرى، إن الحياة لم تُخلق في المسيح بالرغم من ان الخليقة كلها وُجدت بواسطة المسيح. الحياة هي في المسيح اي في جوهر وجوده وهي كائنه فيه منذ الازل.

4). يستخدم النص كلمة المقارنة "بل". وفي اللغة اليونانية، تبين هذه الكلمة (ἀλλά - ألالا) مقارنة حادة بين مجد الله وقوة الموت. بكلمات اخرى، لن يقود مرض لعازر إلى اظهار قوة الموت بل إلى إعلان مجد الله. فكرة المقارنة تتمكّن في ضوء مقارنة يسوع بين المشي في النهار زمن النور والعترة في الليل عند غياب النور (يو 11: 9 - 10).⁵⁰ وتظهر ايضا في تكرار كلمة المقارنة المذكورة اعلاه (ألالا - ἀλλά). يقول المسيح "لعازر حبيبنا قد نام. لكني أذهب لأوقظه" (يو 11: 11). ثم يقول علانية، لعازر مات ولكن لنذهب اليه (يو 11: 15). وتقول مريم "يا سيد، لو كنت ههنا لم يميت اخي! ولكني الآن ايضا اعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله اياه" (يو 11: 21). نعم، هناك تسلط للموت ولكن هناك ايضا القيامة والحياة، القوة البديلة التي سنقود إلى مجد الله. بدأت القوة البديلة بالعمل عندما زرع المسيح الإيمان في قلوب تلاميذه. لعازر مات ولكن المسيح سيقومه (يو 11: 11) ويفرح المسيح بهذا الإعلان لأنه سيزيد إيمان التلاميذ (يو 11: 15). ثم قابل المسيح مرثا واعلن انه القيامة والحياة مشددا على اهمية الإيمان به كطريق القيامة والحياة. سأل المسيح مرثا "اتؤمنين بهذا" (يو 11: 26). وزاد المسيح إيمان مرثا فتحداها ان تسمح بإزاحة الحجر عن قبر لعازر بالرغم من انه قد انتن بعد اربعة ايام في القبر. قال لها "الم اقل لك: إن آمنت ترين مجد الله" (يو 11: 40)؟ وضعت مريم الصعوبات امام المسيح ولكن تحدى المسيح مريم ان تؤمن. ورأت مريم مجد الله عندما آمنت ان ابن الله سيغلب الموت وأن اخوها سيقوم (يو 11: 21 - 27، 40). وهكذا نرى ان الإيمان المرتبط باقوال المسيح واعلاناته عن شخصه هو السبيل إلى اختبار مجد الله. وبعد ان رفعوا الحجر صرخ يسوع بصوت عظيم لعازر هلم خارجا. فقام لعازر وظهر سلطان المسيح على الموت.

وهنا قد نتساءل: اين ذهبت روح لعازر؟ هل ذهبت روح إلى المطهر (Purgatory)، ام نامت نوم اللاوعي (Soul Sleep - Psychopannychism)، ام ذهبت إلى اليمبوس المعروف ايضا بحضن ابراهيم (Limbus)؟ يقول الفكر الكاثوليكي ان ارواح الناس في العهد القديم لا تستطيع ان تدخل السماء بسبب عدم اتمام عمل يسوع المسيح وهكذا ذهبت الروح إلى اليمبوس الذي ينقسم إلى قسمين يلبوس الاطفال غير معمدين ولبوس الآباء اي مؤمني العهد القديم.⁵¹ فدخلوا السماء هو بواسطة المسيح الذي

⁵⁰كان الرومان يجعلون النهار اثنتي عشرة ساعة بالرغم من تغير طول النهار خلال تغير الفصول. بكلمات اخرى، في الصيف عندما يكون النهار طويلا يكون طوله اثنتي عشرة ساعة. وفي الشتاء عندما يكون النهار قصيرا يكون طوله ايضا اثنتي عشرة ساعة إلا ان مفهومهم عن طول الساعة مرن. فمدة الساعة تتغير بحسب طول النهار.

⁵¹Wayne Grudem, *Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine* (Grand Rapids: Zondervan, 1994), 1174-1184.

فتح ابواب السماء بعد موته وقيامته. وتقول الكنيسة الارثوذكسية ان اموات العهد القديم يذهبون إلى الهاوية (هادس) فبحسب مفهومهم يكون رجوع لعازر من الهاوية. يعترض البعض (وليم تيندل، مارتن لوثر، جون ملتون، واسحق نيوتن) على فكرة اليمبوس مرجحين دخول النفس في سبات اللاوعي وقائلين انه النفس تتوقف عن الوجود عندما يموت الجسد وتكون في سبات إلى يوم القيامة.⁵²

بالرغم من صعوبة هذا الموضوع، يبدو لي ان روح لعازر كانت تتعزى في حضن ابراهيم ولم تكن بعد في بيت الآب (اويكيا تو پاتروس - οἰκία τοῦ πατρός). فإعداد بيت الآب لم يكن قد تم بعد لأن المسيح قال لتلاميذه بعد قيامة لعازر انه سيمضي إلى بيت الآب ليعد للتلاميذ مكانا (يو 14: 2 - 3). اضع إلى ذلك، لم يصعد المسيح إلى الآب ليعد المكان حتى بعد ان قام من بين الأموات وظهر لمريم (يو 20: 17). ويخبرنا لوقا عن مثل الغني ولعازر الذي رواه يسوع (لو 16: 19 - 31). يقول يسوع حملت الملائكة روح الميت المسكين إلى حضن ابراهيم بينما وجد الغني الشريد نفسه في الهاوية (هادس - ὄδης). كان لعازر المسكين يتعزى بينما كان الغني الشريد يتعذب.⁵³ بالرغم من الاختلافات الواضحة بين لعازر المسكين ولعازر اخو مريم ومرثا، ربما نستطيع ان نقول ان الملائكة حملت روح لعازر اخو مريم ومرثا إلى حضن ابراهيم. وصل صوت المسيح إلى حضن ابراهيم وأعاد روح لعازر إلى جسده مظهرا سلطانه على الموت.

المهم في قصة لعازر هو ليس المكان الذي عاد منه لعازر بل الحالة التي عاد منها. فلقد كان ميتا لأربعة ايام وقد انتن جسده. بحسب احد التفسير اليهودية إن الروح تحوم حول الجسد لثلاثة ايام محاولة ان ترجع اليه ولكنها عندما ترى ان الجسد بدأ يفسد تتركه.⁵⁴ ولا يستطيع احد ان يعيد الروح إلى الجسد إلا الله وحده. فلقد وصل صوت الله الابن ليس فقط إلى آذان جسد لعازر الميت بل أيضا إلى مسمع لعازر في حضن ابراهيم. ترك لعازر حضن ابراهيم ليعود إلى محضر الله الابن، إلى القيامة والحياة.

⁵²Encyclopedia Wikipedia. *Soul Sleep*. Available from http://en.wikipedia.org/wiki/Soul_sleep; accessed on May 15, 2007.

⁵³تختلف هوية لعازر المسكين عن لعازر اخو مريم ومرثا بالرغم من تشابه اسمائهما.

⁵⁴راجع تفسير سفر اللاويين في قسم التلمود المعروف بفيقرا رابه (717 717). فيقرا رابه 18: 1. يُعلق هذا النص على لا 15: 1.

ثالثاً، هناك علاج وحل لمشكلة الموت. بالرغم من قيامة لعازر من الأموات وظهور مجد الله إلا انه سيموت ثانية لأن المسيح اقام لعازر ولكنه لم يقضي كلياً على الموت. وهكذا يكون مجد الله محصوراً لأن قوة الموت ما زالت تعمل. فكيف سيتخلص المسيح من قوة الموت؟ الجواب يكمن في كلمة مهمة تتكرر في النص. هذه الكلمة هي المحبة (يو 11: 3، 5، 11، 36). إن محبة المسيح للعازر هي نموذج لمحبهه لباقي الجنس البشري.

ظهرت محبة المسيح في يو 11: 5 - 6 عندما تأخر عن مساعدة لعازر المريض. كان بإمكان المسيح ان يكون في محضر لعازر ويشفيه ويمنع عنه الموت (يو 11: 21، 32). كان بإمكانه ان يعيد روح لعازر قبل اليوم الرابع. ولكن المسيح مكث يومين بدلاً من الذهاب إليه فوراً. ويبدو ان لعازر كان قد مات عند قدوم الرسول الذي سافر ليوم واحد ليصل إلى مكان المسيح. اراد المسيح ان يختبر لعازر قيامة من الأموات بدلاً من شفاء من المرض فينقله إلى عمق أكبر في علاقته مع الله وتكون شهادته فعّالة أكثر (راجع يو 11: 15، 45 / 12: 9 - 11). فمثلاً، يخبرنا يوحنا ان الجمع جاءوا لاستقبال المسيح في دخوله إلى اورشليم بسبب إقامته للعازر (يو 12: 17 - 18) اي بسبب شهادة لعازر.

وهكذا ظهرت محبة المسيح للعازر حتى عندما تأخر عن القدوم إليه. كان تأخر المسيح يهدف إلى تقديم بركة أكبر للعازر. وظهرت محبة المسيح أيضاً عندما بكى يسوع (يو 11: 35 - 36). لقد استأجر الناس الزمارين والنواحين في جنازات القرن الأول وقسموا البكاء إلى أنواع ومواسم بحسب فترة رحيل الفقيد. وهكذا تزايدت المفردات التي تعبر عن البكاء. ويوجد في حادثة جنازة لعازر كلمتين للبكاء (كلايو - κλαίω) و(دكروو - δακρ ω). تُستخدم الكلمة الأولى للذين ينوحون اما الكلمة الثانية فهي نادرة وتستخدم لتعبر عن حزن المسيح او بكائه الصامت لربما بدمعة واحدة. لقد فرح يسوع مع الفرحين وها هو يبكي مع الباكين. وهنا نرى اقصر آية في الكتاب المقدس "بكى يسوع" (يو 11: 35). الله الابن يبكي امام آلام البشر وتسلط الموت فلقد انزعج المسيح. تقول ترجمة فاندريك: "انزعج بالروح واضطرب"، أما ترجمة جمعية الكتاب المقدس فتقول "توجعت نفسه واضطرب"، ونجد تعبيراً مختلفاً في الترجمة التفسيرية التي تقول "فاض قلبه بالاسى الشديد". تعود اختلافات الترجمات إلى صعوبة تفسير الكلمة اليونانية المكافئة لكلمة "انزعج" في ترجمة فاندريك. إن كلمة "انزعج" في اليونانية (αμβριμαομαι - μβριμαομαι) تعني انه شخر غضباً او صهل مثل الخيل. لقد تأثر برؤية خليفته مذلولاً لسلطان الموت. فلعازر في القبر وعائلته تتوح واليهود يحدون قدرة الله الابن قائلين "ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الاعمى ان يجعل هذا أيضاً لا يموت" (يو 11: 37)؟ انزعج لأنه يريد إيمان الجمع به (يو 11: 42) وليس تسلط الموت عليهم.

انزعج بسبب محدودية افكار الناس وعدم سماحهم للمفاجئات الإلهية. فيسوع يقدر ليس فقط ان يجعل لعازر لا يموت بل اكثر من ذلك بكثير. قال يسوع "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد" (يو 11: 25 - 26). فهو يستطيع ان يحي كل ميت وأن يمنع الموت عن كل حي مؤمن. يستطيع المسيح ان يحي كل انواع الاموات وان يحفظ كل انواع المؤمنين الاحياء من الموت. فكيف سيفعل ذلك؟ الجواب هو بمحبته العاملة.

لقد ظهرت محبة يسوع عندما خاطر بحياته ليذهب الى اليهودية حيث لعازر (يو 11: 7). إقامته للعازر قادت الرؤساء إلى الحكم بقتله. بكلمات اخرى، احيا المسيح لعازر ودفع حياته ثمنا لهذه الآية فليس لاحد حب اعظم من ان يضع نفسه لاجل احبائه. يقول النص "فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه" (يو 11: 53). ويمكن ان نترجم كلمة تشاوروا اليونانية (سومبوليوو - συμβουλεω) بكلمة قرروا ان يقتلوه. صدر حكم الاعدام على يسوع بسبب اقامته للعازر. احب المسيح لعازر حتى وضع حياته من اجله. ولكن لعازر سيموت ثانية فهل سيستطيع المسيح ان يقيمه ثانية؟

إن الطريق إلى قيامة لعازر الثانية هي قيامة يسوع الأولى والوحيدة. وهكذا نرى ان محبة المسيح دفعته ليس فقط ليخاطر بحياته ويقيم لعازر القيامة الأولى بل ايضا ليعطي حياته ليقيم لعازر القيامة الثانية. موت المسيح وقيامته هي الطريقة التي سيتمجد بها يسوع ويسحق من خلالها الموت. كانت قيامة لعازر الأولى هي الجولة الاولى مع الموت ولكن الموت سيفوز في الجولة الثانية وسيموت لعازر ثانية. فكيف نتخلص من تسلط الموت؟ يجب ان تكون هناك جولة ثانية بين يسوع والموت. واجه يسوع الموت على الصليب في الجولة الثانية ومات المسيح. بدا للعيان ان الموت فاز في الجولة الثانية وغلب الحياة والقيامة. ولكن ليس كل ما يلعب ذهبا. بكلمات اخرى، ظهر الموت منتصرا وهو في الواقع يحتضر ومشلول عن ايقاع الضرر بالقيامة والحياة. ففوة الموت هي الخطيئة والمسيح لم يعرف خطية.

قال احد الوعاظ ان ابليس جاء إلى قبر المسيح قبل قيامته لينهش فيه ويعضه. وتستطيع اسنان ابليس ان تعض كل موقع فيه خطية. فاحذر من العض. جاء ابليس ليعض اصبع المسيح فسمع الآية القائلة: "إن كنت باصبع الله أخرج الشياطين، فقد اقبل عليكم ملكوت الله" (لو 11: 20). ترك الاصبع وحاول ان يعض الشفاه فسمع الآية القائلة: "أنت ابرع جمالا من بني البشر. انسكبت النعمة على شفثيك" (مز 45: 2). قرر ابليس ان يقلع عيون المسيح باسنانه فتذكر القول: "عيناك اطهر من ان تنظرا الشر" (حب 1: 13). لم يجد ابليس مكانا يعض فيه المسيح لأنه مكتوب: "من منكم بيكتتي على خطية" (يو 8:

46). غادر ابليس القبر وفي اليوم الثالث قام يسوع من بين الاموات. وهكذا فتح الباب امام قيامة لعازر الثانية وأمام ذهاب روحه مباشرة إلى بيت الأب المُعد.

كانت قيامة لعازر الاولى عودته إلى الحياة بعد موته وحصوله على جسد فاني وفساد. أما قيامته الثانية فسيحصل على جسد ممجد. قد تتساءل ما هو هذا الجسد الممجد! وكيف سيفدي المسيح اجسادنا؟ إن اجسادنا الممجة ستشبه جسد المسيح الممجد وليس جسد لعازر في قيامته الأولى. لقد اقتضت قيامة لعازر إزاحة الحجر اما إزاحة الحجر عن قبر يسوع فكانت من اجل ان يرى الناس القبر الفارغ وليس لكي يخرج الجسد منه. اظهرت قيامة لعازر فوز المسيح على الموت ولكن قيامة المسيح ازالَت شوكة الموت وغلبته وقدمت باكورة عالم بلا موت. فجسد المسيح المُقام هو نموذج للعالم المُقام من موت الخطيئة.

علينا ان ندرك ان جسد يسوع قبل موته مرتبط بطريقة ما مع جسده بعد موته. يتشابه جسد التجسد وجسد القيامة بأمر كثيرة منها: (1) كلاهما متقوب اليدين ومطعون الجنب (يو 20: 20). (2) كلاهما ينفخ (يو 20: 22). (3) كلاهما يمشي ويتحاور (لو 24: 15-16). (4) كلاهما عنده لحم وعظام (لو 24: 39). (5) كلاهما يستطيع ان يأكل فلقد اكل المسيح بعد قيامته سمكا مشويا وعسلا (لو 24: 42). وعلينا ان ندرك ان جسد القيامة يلمس ويجس، يأكل ويتذوق، ينظر ويرى، يتحاور ويسمع، وربما يشم ايضا. عنده الحواس الخمسة. ويستطيع ان يعانق وان يتكأ وان يكسر الخبز وان يصفق. (6) تتشابه شخصية المسيح في جسد التجسد مع شخصيته في جسد القيامة. فليس التشابه جسدي فقط بل هناك تشابه في الشخصية.

ويختلف جسد التجسد عن جسد القيامة. (1) قد يختفي جسد القيامة فجأة (لو 24: 31) او (2) قد يرتفع عن الأرض إلى السماء (مر 16: 19، لو 24: 51). (3) ويستطيع جسد القيامة ان يخترق الاماكن المغلقة. (4) لا يتزوج جسد القيامة وبالتالي لا يوجد جنس في القيامة (مت 22: 23 - 33). (5) يختلف جسد القيامة في الهيئة عن جسد التجسد فلا توجد فيه خلايا ميتة ولا تموت خلاياه (راجع رؤ 21: 4). فكل خلايا المسيح الميتة ستحيا فيزول عن شكله التعب او وصف اشعياء الذي قال "كان منظره كذا مفسدا . . . لا صورة له ولا جمال فننظر اليه" (اش 52: 14 - 53: 2). ربما هذا هو احد الاسباب ان مريم لم تعرف يسوع (يو 20: 14) ولم يعرفه الغلمان (يو 21: 4) ولم يعرفه تلميذا عمواس (لو 24: 15-35). يخبرنا بولس الرسول عن علاقة جسد الولادة مع جسد القيامة مؤكدا الاستمرارية بين جسدنا الارضي وجسد القيامة (1 كورنثوس 15). نعم هناك استمرارية ولكن هناك اختلاف في النوعية. قال المسيح ان

جميع الذين في القبور يسمعون صوته ويقومون (يو 5: 28) ولكننا نعلم ان الأرواح لا تبقى في القبور ولكن الاجساد الفانية تكون في القبر. بكلمات اخرى، جسد القيامة هو ليس جسدا غير مربوط بجسدنا الآن بل قيامة لجسدنا الارضي حيث يلبس الفاسد عدم فساد والمائت عدم موت (1 كور 15: 53). نوافق مع كالفن ان هناك تغير في النوعية من فساد إلى عدم فساد ومن موت إلى عدم موت. فلن نأخذ جسدا جديدا غير متعلق بتاتا باجسادنا الفانية.⁵⁵ ستقوم اجسادنا مثل المسيح. قال المسيح انقضوا هذا الجسد (اي جسده الارضي) وفي ثلاثة ايام اقيمه (يو 2: 19). بكلمات اخرى، سيقوم المسيح نفس الجسد الذي نقضوه ولكنه في ذات الوقت جسد من نوعية مختلفة فهو لا يفنى او يفسد.

تزرع هذه التعاليم في قلبنا الرجاء والإيمان. فنحن لا نخاف الموت ولا نعتقد انه نهاية كل شيء. وتزرع هذه التعاليم اهتماما باجسادنا. فنرب هذه الاجساد على حياة القيامة. وسنقف امام كرسي المسيح وحينها ستجسد ربنا الله الحي وسيحمده لساننا (رو 14: 11). نعم إن جسدنا الارضي يستطيع ان يطور عادات ابدية يقتبسها جسدنا في القيامة مثل السجود والحمد.

الخاتمة

بدأنا هذه الفصل بالسؤال عن الخوف من الموت والتحضير له فهل الموت هو نهاية كل شيء؟ وانتهينا بالحديث عن القيامة. فحتى اجسادنا الفانية والمائتة ستلبس عدم موت وعدم فناء بفضل نعمة ربنا يسوع المسيح الذي وصف نفسه بالقيامة والحياة. ليس الموت النهائية فلقد كسر الله شوكتة بموت وقيامة ربنا يسوع. وبالرغم من تسلط الموت في جنازة لعازر إلا ان المسيح قدم المضاد فقام لعازر اول قيامة وقدم المسيح علاجا فعالا لخطية لعازر وخطايا كل البشرية فسيقوم لعازر وكل الراقدين في المسيح ثانية بجسد ممجد. ويلبس جسدهم الفاني عدم فناء وجسدهم الميت عدم موت.

⁵⁵John Calvin, *Institutes of the Christian Religion* 2 (ed. John T. McNeil; trans. Ford Lewis Battles; Philadelphia: Westminster, 1960), 998-1000.

الفصل السادس

أنا هو الطريق والحق والحياة (يو 14: 6)

تقول احدى القصص أن رجلا وجد خريطة كنز مفككة إلى قطع صغيرة. اراد الرجل تركيب القطع الصغيرة ليجد الكنز. بعد عدة ايام شعر الرجل باليأس والحزن. ففي يديه خارطة الكنز ولكنه لا يستطيع ان يحصل على الكنز لأنه لا يستطيع ان يجمع قطع الخارطة بشكل متناسق وصحيح. وهنا تدخلت زوجته الحكيمة. قالت له هل انتبهت ان خلف كل قطعة يوجد ايضا رسما. تبدو لي انها اجزاء لوجه انسان. وعندما بدأ الرجل بتجميع الأشكال ظهر وجه الرب يسوع. وعندما اكتمل وجهه اكتملت الخارطة وصار الطريق إلى الكنوز متاحا. نعم، ان يسوع هو الطريق الوحيد إلى تجميع القطع المبعثرة واعطائها المعنى الصحيح. فهو مفتاح تفسير الكتاب المقدس وكلمة السر التي تفتح ابواب السماء وكلمة السلطان التي تقهر جنود الظلام. هو الصراط الذي طلب الكثيرون ان يهتدوا اليه. هو الذي قال أنا هو الطريق في احاديث الرحيل (يو 13: 31 - 16: 33).⁵⁶

تحدث المسيح عن رحيله في اكثر من مرة (راجع يو 7: 34، 36 / 8: 21)، ولكن موضوع رحيله وصل إلى ذروته في احاديث الرحيل (يو 13 - 16). ففي بداية كتاب الساعة (يو 13 - 21) يشرح المسيح انه ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب (يو 13: 1). ويقول ايضا: "سمعتم أنني قلت لكم: أنا اذهب ثم آتي اليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت امضي إلى الآب" (يو 14: 28). وأضاف قائلا: "وأما الآن فأنا ماض إلى الذي ارسلني . . . بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل ايضا ترونني، لأنني ذاهب إلى الآب" (يو 16: 5، 16). وقال "خرجت من عند الآب، وقد اتيت إلى العالم، وايضا اترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو 16: 28).

لقد شرح المسيح لتلاميذه انه سيمضي إلى الآب ليعود لهم مكانا ثم سيأتي ليأخذهم (يو 14: 2 - 3). وبيّن لهم انه سيذهب إلى الآب وانه هو الطريق إلى الآب. قال بوضوح "ليس احد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو 14: 6). في ضوء هذه الاقوال نفس قول يسوع لتلاميذه "يا اولادي، أنا معكم زمانا قليلا بعد.

⁵⁶ للمزيد من المعلومات عن احاديث الرحيل راجع فايز فارس. احاديث الرحيل: قطوف من انجيل يوحنا. القاهرة: دار الثقافة، 1993.

ستطلبونني، وكما قلت لليهود: حيث اذهب أنا لا تقدر ان تأتوا، اقول لكم انتم الآن" (يو 13: 33). ببساطة لا يقدر التلاميذ ان يذهبوا حيث سيذهب يسوع.

لقد اعتقد التلاميذ ان المشكلة هي معرفة المكان الذي سيذهب اليه يسوع. فقال بطرس "يا سيد إلى اين تذهب" (يو 13: 36)؟ وقال توما "يا سيد، لسنا نعلم اين تذهب" (يو 14: 5). وبهذا تشابه فكرهم مع اليهود الذين قالوا "إلى اين هذا مزعم ان يذهب حتى لا نجده نحن؟ العله مزعم ان يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين" (يو 7: 35)؟ وبحسب تفكيرهم، اذا عرفوا المكان الذي سيذهب اليه المسيح سيقدرون ان يذهبوا معه او اليه. لهذا نجد اربع اعتراضات من اربعة تلاميذ. جميعهم يحبون يسوع ولكنهم لا يفهمون مغزى كلامه.

اعتراض بطرس (يو 13: 36 - 38)

اعترض بطرس سائلا عن المكان الذي سيذهب اليه المسيح (يو 11: 36). فهو لا يريد الانفصال عن يسوع بسبب محبته له كمعلم وكسيد. ويعتقد بطرس أن المسيح سيذهب إلى مكان ارضي وبواسطة وسائل بشرية وانه يستطيع ان يتبعه. تكمن مشكلة بطرس في قضيتين جوهرتين. اولاً، لم يفهم بطرس أن الذهاب إلى حيث يذهب يسوع او إلى الآب بحاجة إلى رجلين مغسلتين. لهذا دعونا ندرس تفاصيل قصة غسل الارجل لنفهم هذا الأمر.

اعد بطرس ويوحنا العشاء (لو 22: 7 - 13، مر 14: 12 - 21). وهكذا كان من الاوجب ان يجلسا على اماكن الشرف، إلى يمين ويسار صاحب الوليمة. وهنا بعكس توقعات ليوناردو دافنتشي في رسمته الشهير للعشاء الاخير، يجب ان نتخيل ان التلاميذ اتكئوا على حصيرة صغيرة حول مائدة منخفضة (طابلية). وعادة يتكأ الشخص على ذراعة اليسرى ممدا رجليه بعيدا عن الطاولة. وعندما نقرأ انجيل يوحنا بتمعن، نلاحظ ان بطرس لم يجلس بجانب يسوع ولم يأخذ موقع الشرف فافضل المقاعد كانت على يمين ويسار يسوع. فيبدو ان شخصا ما جلس في مكانه. من هو هذا الشخص؟ إن كان يوحنا متكئا في حضن يسوع اي على يمينه (يو 13: 23 - 25) وكان بطرس بعيدا عن يسوع مما اضطره ان يوما ليوحنا محاولا ان يفهم من هو الشخص الذي سيخون يسوع (يو 13: 24)، فمن هو التلميذ الذي جلس على يسار يسوع؟ إنه الشخص الذي يستطيع يسوع ان يغمس اللقمة ويعطيه اياها. فلقد كان هذا الشخص قريبا من موقع يسوع ليأخذ منه اللقمة المغموسة. إذا، الشخص هو يهوذا الاسخريوطي الذي اكرمه يسوع بغسل رجليه وباللقمة المغموسة وبالمقعد المميز!! احبه إلى المنتهى.

من الطبيعي ان يكون بطرس مستاء من يهوذا الذي لم يقدر عمله. وفي هذا الاطار، قام يسوع عن العشاء وخلع ثيابه وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ. يملك يسوع كل السلطان والحق في محاسبة يهوذا وإدانتة. ولكنه فضل ان يغسل رجليه! ولقد كان غسل الأقدام من احقر الأمور واختصاص ادنى العبيد. ولربما يقبل بعض التلاميذ ان يغسلوا رجلي المسيح وقد يقبل البعض الآخر ان يغسلوا ارجل بعضهم البعض تعبيراً عن محبتهم الشديدة ولكن ان يغسل السيد ارجلهم فهذا امر عجيب خاصة انه دُفع كل سلطان إلى يديه من الله مباشرة (يو 13: 3). ولقد اصر بعض اليهود ان العبد اليهودي يجب الا يرضى بغسل ارجل الآخرين ويجب ان يكون هذا الامر من اختصاص العبد الاممي فقط او من اختصاص النساء والاطفال. وهكذا نستطيع ان نفهم رد فعل بطرس الحاد. "لن تغسل رجلي ابدا" (يو 13: 8)! فعندما وصل المسيح إلى بطرس واجه إنساناً رافضاً. رفض بطرس عمل المسيح قائلاً "أنت تغسل رجلي!" (يو 13: 6).

ثانياً، يبين المسيح لبطرس ان المشكلة في فهمه متعلقة بالتوقيت. إن التوقيت مهم لأنه سيكون بعد اتمام عمل المسيح وبعد امداد بطرس بالامكانيات التي تساعد على تبعية يسوع. فهو يحتاج إلى روح الحق ليتبع الحق. يقول المسيح "حيث اذهب لا تقدر الآن أن تتبعني ولكنك ستتبعني أخيراً" (يو 13: 36). فماذا سيحصل بين الحقبة الزمنية المعبر عنها بكلمة "الآن" وبين الفترة الموصوفة بالكلمة "أخيراً"؟ وفي تلك الليلة ايضاً قال المسيح لبطرس "ستفهم فيما بعد" (يو 13: 7). لم يفهم بطرس ما صنعه المسيح حين غسل رجليه. بل رفض بطرس عمل المسيح وصُعق من تصرف السيد. بكلمات اخرى، اراد بطرس ان يعلم ما يفعله يسوع الآن (يو 13: 7) واراد ان يتبع يسوع الآن (يو 13: 36) ولكن يسوع بيّن له ان "فيما بعد" افضل من "الآن". أي ان تبعية المسيح بعد صلبه وموته وقيامته وصعوده هي افضل من تبعية قبل الصلب. فهناك فهم افضل وثبات افضل. الفهم الافضل مبني على ادراك مخطط الله وترتيبه والثبات الافضل مبني على خدمة الروح القدس ليس على العواطف المتقلبة.

لقد قابل المسيح كلمات بطرس المطلقة والحادة برسالة حازمة وخطيرة. قال له "إن كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب" (يو 13: 8). ربط المسيح بين عمله في غسل اقدام بطرس وبين ميراث بطرس في الملكوت. كلمة نصيب او ميروس في اليونانية (μέρος) تعني الميراث (راجع لو 15: 12) او قد تعني نوال مجازاة النصيب الابدي (راجع مت 24: 51 / رؤ 22: 19). ظن بطرس ان عمل المسيح طقسى فطلب من معلمه ان يغسل ايضاً يديه ورجليه، ولكن المسيح اوضح له ان الطهارة هي

ليست بالطقوس بل بتطهير المسيح الذي سيفهمه بطرس فيما بعد (يو 13: 7). ربما فهم بطرس هذا الامر بعد الصليب وزاد فهمه بعد اتصاله بكرنيليوس الاممي (اع 10: 1 - 11: 18) ونما ادراكه اذ يقول اننا مختارون بواسطة رش دم يسوع المسيح (1 بط 1: 2) وان خلاصنا هو ليس ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بواسطة قيامة يسوع المسيح (1 بط 3: 21). بكلمات اخرى، إن الرجلين المغسلتين هما طريقة الدخول الى الميراث الذي اعدده الآب بواسطة الابن. بدون رجلين مغسلتين لا يوجد لبطرس نصيب في الميراث. لا يستطيع بطرس ان يدخل الطريق إلى الآب بدون ان يغسل المسيح رجله او بدون ان يغسله بدم الصليب ويعطيه الطهارة الحقيقية المبنية على عمل الله الابن وليس على الثقة بالنفس وبقدرتها على خدمة المسيح. فكما تنمو معرفتنا بالنفس تنقص ثقفتنا بها. قال كالفن ان المعرفة الحقيقية للنفس تدمر كل ثقة بالذات.⁵⁷

ثالثا، لم يكن بطرس جاهزا لأنه وثق بنفسه ظانا انه يمتلك الامكانيات الكافية ليتبع المسيح ويصل إلى الآب. ظن انه "يقدر" (لاحظ تكرر الكلمة في يو 13: 33، 36، 37). قال "اني اضع نفسي عنك" (يو 13: 37)! لم يساوم المسيح على الحق في سبيل بناء صداقة عميقة مع بطرس. فالقضية اكثر من الصداقة ومن علاقة تلميذ مع معلمه. الموضوع هو اساسات الخلاص. ليس الطريق إلى الآب ان نضع انفسنا ونضحى بها. فبالرغم من نبل هذا الموقف فهو غير كاف. فنفسنا تقدمه غير لائقة لإله كامل وقدوس. تقدمه بطرس مثل تقدمه خروف اعمى زمن العهد القديم. إنها ذبيحة غير صالحة للدخول إلى الآب. وعندما تواجه بطرس مع الحق ونظر في مرآة القلب، كانت المواجهة صاعقة. كانت صدمة بطرس الأولى عندما تواجه مع ما سيعمله المسيح. فالمسيح سيغسل ارجله بل سيغسله بدم الصليب. أما الصدمة الثانية فكانت عندما اكتشف بطرس ما ستعلمه نفسه وفساد قلبه. قال له يسوع انت خاطئ. انت شرير. أنت خائن مع سبق الاصرار والترصد. ستتكرر خيانتك ثلاثة مرات في نفس الليلة. بايجاز، حتى يكتشف بطرس ان المسيح هو الطريق وجب عليه ان يكتشف فساد قلبه ويرفض ثقته بنفسه ويقبل عمل المسيح في غسل رجله. حقا، يحتاج بطرس إلى رجلين مغسلتين وإلى خطوات متماشية مع التوقيت الإلهي وإلى إدراك حقيقي للذات البشرية حتى يكتشف الطريق.

⁵⁷John Calvin, ed., *Institutes of the Christian Religion I* (ed. John T. McNeil; trans. Ford Lewis Battles; Philadelphia: Westminster, 1960), 241.

اعتراض توما (يو 14: 1 - 6)

اعتراض توما على رحيل المسيح قائلاً "كيف نقدر ان نعرف الطريق" (يو 14: 5)؟ إن افتقر بطرس لرجلين مغسلتين فإن توما افتقر لأذنين مصغيتين ولذهن المسيح. إن كانت مشكلة بطرس تكمن في ذاته وفهمه وتوقيته فإن مشكلة توما تكمن في وسائل ومنهجية المعرفة اي في ابستمولوجيته (Epistemology). إن كان بطرس قد تساءل عن قدرته في اتباع الطريق فإن توما يتساءل عن قدرته في معرفة الطريق. وبعد ان تحدثنا عن المشكلة في قدرة السائل، دعونا نتحدث عن المشكلة في وسائل إيجاد الجواب. لاحظ تكرر كلمة اويدا (οἶδα) المترجمة "عرف او علم" مرة في يو 14: 4،⁵⁸ ومرتين في يو 14: 5. ولاحظ تكرر كلمة جينوسكو (γινώσκω، عرف) ثلاث مرات في يو 14: 7 ومرة في يو 14: 9.

دعونا نتأمل في هذا الموضوع من وجهة نظر توما او كما يشرح يوحنا فكر توما. يذكر يوحنا توما في اربع مواضع (يو 11: 16 / 14: 5 / 20: 24 / 21: 2). تذكر هذه المواضع توما كشخص متحرك او كمن يرغب بالحركة. فهو الذي قال للتلاميذ لنذهب إلى بيت عنيا حيث خطر الموت (يو 11: 16). وهو الذي ذهب وترك التلاميذ الخائفين بعد موت المسيح (يو 20: 24). وهو الذي شارك التلاميذ في رأيهم ان يذهبوا مع بطرس للصيد. وها هو الآن يقول للمسيح "لسنا نعلم اين تذهب" مهتما بالمشاركة ببرامج المسيح (يو 14: 5). لقد كان توما مستعدا ان يتغلب على الخوف فيترك التلاميذ الخائفين. وكان مستعدا ان يخاطر بحياته فيذهب ليموت مع لعازر. وكان مستعدا ان يتحدى التلاميذ بدون تردد وبدون دبلوماسية. من خلال هذه الملاحظات، نستطيع ان نقول ان توما يمتلك صفات ايجابية ولكنه عنده ايضا صفات سلبية. نعم، هو قائد يحب النشاطات ولا يخشى المواجهات، لكنه لا يحسن الاصغاء. فهناك مشكلتان رئيسيتان في توما.

أولاً، نريد ان نعرض مشكلة توما في الاصغاء. كان توما في محضر الله ولكنه لم يسمع صوت الله. الاصغاء هو اكثر بكثير من سماع الامواج الصوتية الخارجة من مصدر الكلام. الاصغاء هو التعامل مع الرسالة ومع ارادتها في التنفيذ. فالكلام هو رسالة وقوة عاملة تريد تشكيل كل من يسمعها.⁵⁹ وعندما

⁵⁸ يستخدم النص العربي كلمة "علم" مرتين ولكن النص اليوناني يستخدم كلمة اويدا (οἶδα) مرة واحدة فقط.

⁵⁹ لا نريد ان نستعرض في علم الكلام (Linguistics) ولكن سيكون من المفيد اعطاء مثلاً لتوضيح القصد. عندما نقول لا تلمس الكهرباء. فالكلمات هي "لا تلمس الكهرباء" ولكن ارادة هذه الكلمات او قوتها في التنفيذ هي في تحذير السامع. وعلى

تحدث المسيح عن موت لعازر قال انه نائم وانه سيقوم من نومه وبيّن ان اعلانه عن موت لعازر وقيامته موضوع فرحه لانه سيقود إلى ايمان التلاميذ. أما توما فلم يصغ جيداً، سمع الامور التي يفكر بها مثل الذهاب إلى مكان خطير ومثل امكانية موته وموت التلاميذ، وهي امور لم يردّها المسيح ولم يهدف اليها في كلامه. سمع توما بعض كلام المسيح ولم يسمع هدف كلام المسيح. فاخطأ باهمال جزء من كلام المسيح واخطأ ايضاً باهماله هدف كلامه. لم يصغ توما جيداً لكلمات السيد فهو يسمع بعض ما يقول يسوع ولا يسمع ما يريد المسيح ان يفعله بقوله. ففي قصة لعازر شارك المسيح كلماته ليؤمن التلاميذ. وهنا في الاصحاح الرابع عشر من يوحنا يشارك المسيح افكاره ليطمئن التلاميذ وليؤمنوا به. لقد فشل توما في التعاون مع هدف كلمات المسيح وفشل ايضاً في الاصغاء الصحيح فلم تطمئن نفسه او تقض بالإيمان بالله وبمسيحه. سمع فقط المقطع الاخير الذي يتحدث عن الذهاب وعن طريق الذهاب. لم يسأل عن الكثير من الأمور التي قالها المسيح مثل الإيمان او المنازل في بيت الأب او فترة انتظار المسيح، بل تسرع في فكره وكلامه.

لقد فشل توما ايضاً عندما حدثه التلاميذ بعد القيامة عن قيامة الرب. فلم يصغ إلى صوت القبر الفارغ، وإلى الكثير من نبوات العهد القديم المتعلقة بالمسيا وبميلاده وحياته وموته وصلبه وطعنه والافتراع على ثيابه ودفنه وقيامته. لم يتذكر اقوال المسيح وحديثه عن موته وقيامته. ولم ينجح في احترام وقبول شهادة التلاميذ الذين قالوا انهم رأوا الرب. كان توما يسمع ما يؤمن به فقط. وكان ذهنه قلعة مغلقة بدون نوافذ. لم يلتقط مدياعه سوى ذبذبات الذات المحلية فخرس التقاط البث الإلهي الحي والمباشر. حقاً، من يفتقر إلى اذنين مصغيتين يعرض نفسه لآلام واوجاع كثيرة.

دعوني اعظكم واحثكم على الاهتمام بهذا الموضوع المهم. فإن الكثير من البيوت مدمرة بسبب غياب الأذان المصغية. كثير من الاولاد يرتكبون الآثام بسبب غياب الأذان المصغية. كثير من الكنائس تنقسم بسبب غياب الأذان المصغية. كثير من الاوقات نفشل لأننا لم نصغ إلى تعليمات الرب. وهنا اتذكر قول الرب في رسالة يع 1: 19 - 22

المصغي ان يتعامل ليس فقط مع الكلمات بل ايضاً مع رسالة التحذير وبالتالي عليه او عليها ان يقوم بفعل يعكس اصغاهه. للمزيد من المعلومات راجع

Peter Cotterell, "Linguistics, Meaning, Semantics, and Discourse Analysis," in *A Guide to Old Testament Theology and Exegesis* (ed. Willem VanGemen; Grand Rapids: Zondervan, 1997), 131-157.

إذا يا اخوتي الاحباء، ليكن كل إنسان مسرعا في الاستماع، مبطنًا في التكلم، مبطنًا في الغضب، لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله. لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر، فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة ان تخلص نفوسكم. ولكن كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين فقط خادعين نفوسكم.

ثانيا، نريد ان نعرض مشكلة توما في الذهن. تحدث توما من منطلق البراغماتية (Pragmatism) ومن فلسفة التطبيق. تحدث من اطار ابستمولوجي سائلا كيف نقدر ان نعرف الطريق؟ لم يسأل عن الطريق بل عن وسيلة معرفة الطريق. لم تتوافق وسائل المعرفة التي قدمها المسيح مع وسائل المعرفة التي يريدها توما. فلقد بيّن المسيح ان معرفة الطريق متعلقة بذهاب المسيح ورجوعه. إن معرفة الطريق متعلقة بالثقة بوعد المسيح انه سيأتي ويأخذ توما وباقي التلاميذ اليه (يو 14: 2 - 4). إنها غير متعلقة بمعرفة توما الجغرافية او بقدرته الفلسفية. إنها غير متعلقة بإمكانيات وقدرات توما بل بالإعلان الكريستولوجي وبهوية المسيح.

قال المسيح لتوما "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس احد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم ابي ايضا. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه" (يو 14: 6 - 7). اجاب المسيح سؤال توما عن معرفة الطريق بشقين. القسم الاول يشرح ان الطريق ليس ترابا او مسارا او منهجا دينيا او طقوسا بل شخصا. قال يسوع لتوما "أنا هو الطريق" الوحيد إلى الآب. والقسم الثاني يبيّن ان معرفة الطريق هي معرفة الله الآب بواسطة الله الابن. من يريد ان يعرف الطريق عليه ان يعرف يسوع. فمعرفة الله الآب وهكذا يكون هو الطريق إلى معرفة الله الآب. ألم يقل يو 1: 18 ان الله الابن الوحيد هو خبر عن الله غير المنظور؟⁶⁰ واذا اخذنا بعين الاعتبار النظام الادبي اليوناني الذي يُدعى كيازم (التصالب المُعبر عن بالشكل التالي: X) حينها يجب ان نقرأ يو 1: 18 في ضوء يو 1: 1 - 2.⁶¹ بكلمات اخرى، الله الابن هو ليس فقط المُخبر عن الآب بل هو ايضا الخبر. فهو كلمة الله.

⁶⁰ايضا، من المفيد ان نلاحظ ان النص اليوناني يضع كلمة "الله" قبل كلمة "الابن" فتكون الترجمة، الله لم يره احد قط الله الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر.

⁶¹يقدم لنا يوحنا انجيله بواسطة اسلوب ادبي يدعى الكيازم او التصالب. وتحتوي مقدمته (يوحنا 1: 1 - 18) على لب أو جوهر انجيله. الكيازم او التصالب، او توافق الاعداد بشكل متناسق، هو

ولكن ما هي معرفة يسوع؟ إنها ليس معرفة المعلومات بل تغيير جذري ومعجزي في العارف. يقول يوحنا "كان في العالم، وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا اولاد الله" (يو 1: 10 - 12). التلاميذ هم خاصته الذين عرفوه. اعلن بطرس بعد ان تركت الجموع المسيح "نحن قد آمنا وعرفنا انك انت المسيح ابن الله الحي" (يو 6: 69). واعلن المسيح ان خاصته وخرافه تعرفه. قال انه الراعي الصالح وقال "اعرف خاصتي وخاصتي تعرفني" (يو 10: 14). وهنا يُظهر المسيح ان العالم لا يستطيع ان يعرفه ويقبله لانه يفتقر إلى الحياة وإلى الحق (يو 14: 17 - 21).

كيف نستطيع أن نعرف الطريق؟

معرفة الطريق مرتبطة بالحياة. نحصل على الحياة بقيامة المسيح. يقول يسوع "إني انا حي فأنتم ستحيون" (يو 14: 19). قيامة المسيح وحياته الدائمة هي اساس حياتنا ومعرفتنا لله. فإن لم يكن المسيح قد قام فلا يوجد معنى لكل إيماننا. حياة المسيح اساس حصولنا على الحياة وعلى العلاقة مع الآب. فالحياة هي معرفة الله. يقول يوحنا "وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته" (يو 17: 3). الحياة هي معرفة الله المرسل بواسطة الله المرسل، اي الله الابن الذي ارسله الآب. علينا ان نعرف الله الابن الذي ارسله الآب ومات على الصليب لاجلنا وبدلا عنا وقام من بين الاموات في اليوم الثالث حسب الكتب وصعد وجلس عن يمين الآب. خطيتنا قتلته وجعلته ينضم معنا إلى دائرة الموت ولكن حياته نزعنا من موتنا ونعمته اعطتنا بره.

معرفة الطريق مرتبطة ايضا بالحق. يسوع هو ليس فقط طريق الإنسان إلى الله بل ايضا طريق الله إلى الإنسان. ففيه لبس اللاهوت حلة الناسوت. وإن كان الله الابن هو الطريق إلى الإتيان إلى الآب

3	17	الإبن مصدر الخلق والفداء
4-5	16	فيه - ملئه
6-8	15	يوحنا - يوحنا
9-10	14	آتيا ومخفيا _ آتيا ومرثيا
11	13	خاصته الأولى - خاصته الثانية
12أ	ج 12	الذين قبلوه - المؤمنون باسمه
12ب		(اعطاهم سلطانا أن يصيروا اولاد الله)

فهو ايضا الطريق لقدم روح الحق إلى الإنسان (يو 14: 17، 26 / 15: 26 / 16: 7، 13). في احاديث الرحيل، يصف المسيح الروح القدس بالمعزي اربع مرات (يو 14: 16، 26 / 15: 26 / 16: 7). هذه هي المرات الوحيدة في الكتاب المقدس التي تصف الروح القدس بالمعزي (باراكليتوس - (παράκλητος).⁶² ويصفه يوحنا ثلاث مرات بروح الحق (يو 14: 17 / 15: 26 / 16: 13). إننا نحتاج إلى عمل الروح القدس لنصل إلى الحق فهو الذي يرشدنا إلى الحق (يو 16: 13). وسيقودنا الروح إلى المسيح الذي سيقودنا إلى الآب. فالاقنوم الثالث سيقودنا إلى الاقنوم الثاني الذي سيقودنا إلى الاقنوم الاول.⁶³ والاقنوم الاول ارسل الاقنوم الثاني الذي ارسل الاقنوم الثالث.

اعتراض فيلبس

اعلن المسيح ان التلاميذ يعرفون الله وقد رأوه ايضا (يو 14: 7). قدم يوحنا لنا هذا الإعلان بالرغم من مقدمة انجيله التي تقول ان الله لم يره احد قط (يو 1: 18). الله غير المنظور صار منظورا في المسيح ولكن فيلبس لم يدرك هذا الامر فأراد ان يرى الآب. يختلف مفهوم الرؤية عند المسيح عن مفهومها عند فيلبس. قال المسيح لفيلبس "الذي رأي فقد رأى الآب" (يو 14: 9). ولكي نفهم فيلبس علينا ان ندرس شخصيته في انجيل يوحنا.

يظهر فيلبس اثنتي عشرة مرة (يو 1: 43، 44، 45، 46، 48 / 6: 5، 7 / 12: 21، 22 / 14: 8، 9) في انجيل يوحنا. ويرتبط ظهوره بالنظر او بالرؤية. ففي الاصحاح الاول يظهر فيلبس شاهدا عن المسيح. فبعد ان وجد الحق - لاحظ تكرار كلمة وجد (يو 1: 43، 45) - دعا الآخرين إلى رؤية المسيح. كان شاهدا عن المسيح وكان يقود الآخرين إلى يسوع. ولكنه كان قصير النظر. أراد المسيح ان يوسع آفاقه وادراكه المتعلق بالمسيا. تحدى المسيح فيلبس عندما طلب منه ان ينظر إلى حاجة الجموع الجائعة وإلى الامكانيات المتوفرة (يو 6: 5 - 7). لم يستطع فيلبس ان يدرك امكانيات المسيا لانه نظر

⁶² يستخدم يوحنا الاسم "باراكليت" ليدل على المسيح في 1 يو 2: 1.

⁶³ يدعى البعض ان الباراكليت هو نبي عربي وليس الروح القدس. يفترضون - بدون وجود اي مخطوطات تدعم هذا الافتراض وبدون مراعاة سياق النص في انجيل يوحنا - ان الكلمة هي بيريكليت اي الممدوح وبالتالي المحمود. للمزيد من المعلومات، راجع: عبد المسيح بسيط ابو الخير. هل تنبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ (مسطررد: كنيسة السيدة العذراء، 2004)، 145-167.

بحواسه فقط ولم ينظر بالإيمان. فسّر ما يرى بحسب مقاييس الناس وليس بحسب امكانيات الله. ولكن المسيح وسع آفاق رؤية فيلبس عندما امتحن بصيرته وصنع آية تكثير الخبز والسّمك.

ويخبرنا يوحنا عن نمو خدمة فيلبس الذي يقود الناس إلى رؤية يسوع. يقول يوحنا "وكان أناس يونانيون من الذين سعدوا ليسجدوا في العيد. فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذي من بيت صيدا الجليل، وسألوه قائلين: يا سيد، نريد ان نرى يسوع" (يو 12: 20 - 21). ارتبطت خدمة فيلبس بمعرفة يسوع الملك. ففي الاصحاح الاول قال نثنائيل ان يسوع هو ملك اسرائيل (يو 1: 49) وفي الاصحاح السادس ارادت الجموع الجائعة ان تجعل يسوع ملكا لانه اعطاهم الخبز (يو 6: 15) وفي الاصحاح الثاني عشر دخل يسوع اورشليم والجموع تهتف انه ملك اسرائيل (يو 12: 13). بكلمات اخرى، دعا فيلبس الناس إلى رؤية يسوع الملك الذي سيحرر اسرائيل ويمجدها. لم يرض المسيح برؤية فيلبس المتعلقة بطريق سعف النخل وفضل طريق حبة الحنطة. فبينما امتحن المسيح فهم فيلبس في آية تكثير الخبز وبيّن في عيد الفصح اهمية الخبز النازل من السماء نراه بعد دخوله اورشليم في فصح آخر يبين لفيلبس ان الخبز الذي نزل من السماء سينزل إلى الارض. سيكون حبة حنطة وحيدة. لم يدرك فيلبس هذا الامر فدعونا نشرحه.

حبة حنطة ام سعف نخل؟

لماذا حمل الناس سعف النخل في اول احد شعانين؟⁶⁴ نستطيع ان نربط سعف النخل بعيد المظال (السوكوت) حين يصلي الحجاج مزمو 118 وهو نفس المزمور الذي نستخدمه في احد الشعانين. يهز الذكور منهم سعف النخل في ايديهم اليمنى وتحمل ايديهم اليسرى فاكهة حامضة (برتقال او ليمون) ليدلوا على الحصاد. ولكن ما هو الربط بين سعف النخل والفصح؟ لا يوجد ربط في العهد القديم بين

⁶⁴ يختلف المؤرخون في تحديد زمن بداية مسيرة الشعانين عند المسيحيين. يظن بعضهم انها ابتدأت في القرن الرابع ويظن آخرون انها لم تكن موجودة قبل القرن الثامن حين استخدم المسيحيون شجر النخل او الزيتون او الصفصاف في مسيرة الشعانين. لم يكن احتفال الشعانين موجودا في المسيحية في القرون الثلاثة الأولى حين عانت الكنيسة اضطهادات كثيرة. اما اليهود فقد حملوا سعف النخل في عدة مناسبات وكما يحدثنا يوحنا حمل اليهود الذين استقبلوا المسيح في اورشليم سعف النخل. بكلمات اخرى، ان تقليد حمل سعف النخل هو تعبير كنسي وليس وصية الهية ونحن بحاجة إلى فهم قلب الله والبحث عن افضل وسائل التعبير عن هذا العيد. للمزيد من المعلومات، راجع

Francis Mersman, "Palm Sunday," in *The Catholic Encyclopedia*, Vol XI (New York: Robert Appleton, 1911); accessed on March 25, 2007; available from <http://www.newadvent.org/cathen/11432b.htm>.

الفصح وسعف النخل إلا اننا نستطيع ان نفهم استخدامات سعف النخل من كتابات المكابيين . إليكم ملخص القصة التي ربما تكون خلف استخدام اليهود لسعف النخل عند دخول يسوع إلى اورشليم.

حوّل انطيوخس ابيفانس الهيكل إلى مركز للعبادة الوثنية سنة 167 ق. م. ذابح الخنازير على مذابح الهيكل (1 مك 1: 29-64 / 2 مك 6: 1-9). فثار المكابيون واستردوا الهيكل سنة 164 ق. م. طهروا الهيكل وبنوا مذبحاً جديداً (1 مك 4: 36-61 / 2 مك 10: 1-8). واحتفلوا لثمانية ايام (1 مك 4: 56 / 2 مك 10: 6) جاعلين الاحتفال عيداً سنوياً (1 مك 4: 59 / 2 مك 10: 8). حمل المكابيون سعف النخل محتفلين بتحرير الهيكل وتقديسه لله (2 مك 10: 7). وارتبطت ذكرى سعف النخل بتقديس الهيكل. فلا عجب ان تربط الاناجيل الإزائية دخول يسوع إلى اورشليم بتطهير الهيكل (راجع مت 21: 1-17 / مر 11: 1-19 / لو 21: 28-48). فليس من المستغرب ان يتبع قدمه إلى اورشليم دخوله إلى الهيكل وطرده أولئك الذين جعلوا بيت الله مغارة لصوص. طرد المكابيون الوثنيين حين قدسوا الهيكل وهوذا المسيح يطرد اليهود من الهيكل.

ولكن القضية اكثر من تطهير للهيكل، إذ يدل عمل يسوع على دينونة رجال الدين واسرائيل.⁶⁵ يربط متى ومرقس قصة تطهير الهيكل بشجرة التين التي لا تعطي ثمراً ويربطها لوقا ببيكاء يسوع على اورشليم وبالكرامين الذين قتلوا ابن صاحب الكرم (لو 20: 9 - 19). وبينما تربط الاناجيل الإزائية دخول اورشليم بشجرة التين التي لا تعطي ثمراً، يربط يوحنا هذا الدخول بحبة الحنطة التي ستعطي ثمراً كثيراً.⁶⁶

يربط يوحنا دخول المسيح إلى اورشليم بحبة الحنطة. اراد الجموع ان يربطوا المسيح بسعف النخل تيمناً بالانتصار والحرية والقوة العسكرية، اما يوحنا فتكلم عن حبة الحنطة. وبدلاً من الحديث عن الجلوس على الكراسي الملوكية تحدث عن الوقوع إلى الارض. وبدلاً من المقولة ايها الملك عش للابد، نسمع يوحنا يقول سيموت الملك. وبدلاً من سعف النخل الطويلة نسمع يوحنا يحدثنا عن حبة حنطة صغيرة. تبدو اغصان النخل في ايدي الناس حية وخضراء ولكنها ميتة لأنها منفصلة عن الشجرة اما حبة

⁶⁵N. T. Wright, *Jesus and the Victory of God* (Minneapolis: Fortress, 1996), 413-428.

⁶⁶الأناجيل الإزائية المعروفة ايضاً بالإنجيل السنوبتية (Synoptic Gospels) وهي الاناجيل التي تخبرنا بالبشارة السارة المتعلقة بيسوع بحسب متى ومرقس ولوقا. وقد استخدم علماء العهد الجديد هذا المصطلح ليعرفوا تشابه تسلسل الاحداث والكلمات والقصص في هذه الاناجيل.

الحنطة فتبدو ميتة ولكنها حية بالرغم من منظرها.⁶⁷ مقاييس الرب تختلف عن مقاييسنا. ولكن فيلبس لم تكن عنده البصيره ليرى طريق حبة الحنطة.

تتميز حبة الحنطة بقله امكانياتها بمقاييس العالم ولكن ليس بمقاييس الرب. يحدثنا يوحنا عن حبة حنطة وعن سعوف النخل. فهي حبة واحدة ووحيدة. إنها الاقلية امام الاكثرية. ولكنها مثل المرأة التي القت فلسين. شهد المسيح لها انها القت اكثر من كل الاكوام المعدنية الرنانة. حبة الحنطة مثل الغلام الذي قدم خمسة ارغفة وسمكتين. اطعمت هذه النقدمة بنعمة المسيح آلاف الناس. حبة الحنطة مثل الام الامينة التي عندها طفل واحد ولكنها اعطته كل شيء وخصصت له كل امكانياتها مؤمنة ان طفلها عطية من الله. لم تفعل مريم العذراء هذا الامر؟! وقد يحقر الناس حبة الحنطة ولكن الرب سيكرم كل كأس ماء بارد قُدم باسم المسيح.

ستأتي حبة الحنطة بثمر كثير. بالرغم من تواضع حبة الحنطة إلا انها ستكفي ان تطعم كل العالم لأنها ستأتي بثمر كثير. يحب الناس الثمر السريع وكنايس الفشار (البوبقرن) التي تضعها في الميكروويف لدقيقة او دقيقتين فتعطيك ثمرا كثيرا. قد يكون الثمر السريع مثل الاكل السريع (الفاست فود - Fast Food) الذي يفتقر إلى قدرته على التغذية الصحيحة. اما طريق الثمر في الكتاب المقدس فهو الوقوع إلى الارض والموت عن الذات. انه طريق حمل الصليب ومواجهة تحديات الانقسامات والفروقات وتحديات الشهوة والغيرة والحسد. لن تكون حبة الحنطة مثل شجرة التين التي لم يوجد فيها ثمر او مثل سعف النخل التي لن تحيا ثانية. هل انت مثل سعف النخل التي لها مظهر الحياة وهي ميتة؟ هل عندك الاعياد واللباس والاحتفالات بدون المسيح الذي يعطي الحياة؟ او هل انت مثل شجرة التين التي لم تعط ثمرا بالرغم من كل استثمارات الله فيها؟ دعونا نكون مثل حبة الحنطة التي تقع إلى اسفل وتموت لتجلب الحياة والثمر الكثير؟ وقوع حبة الحنطة وموتها هي الطريقة التي سيتمجد بها يسوع حين يطرح رئيس هذا العالم خارجا. بدون موت يسوع لن يصير ملكا على حياتنا فموته هو خطة الله ولكن فيلبس لم يرى هذا الامر. بدون معالجة مشكلة الخطية لن تكون هناك بركة الخلاص وثماره. لا نستطيع ان نحتمل بالمسيح ونحن عبيد للخطية. لن يكون هناك ملك حقيقي ليسوع ما دام ابليس رئيسا. لن يكون يسوع ملكا على الجموع ما دام ابليس جالسا على العرش. وبدون تحطم عرش ابليس، لن نستطيع الجموع ان تقف

⁶⁷ اشكر جون انجل (John Angle) احد المتطوعين في كلية بيت لحم للكتاب المقدس على هذه الفكرة التي ذكرها حين كنت اعطي تأملا عن احد الشعانين في سفر يوحنا.

امام تحديات اسبوع الآلام بل ستصرخ في نهايته اصلبه اصلبه، اي اصلبوا يسوع المسيح. ولكن فيلبس لم ير هذا الامر.

اوضح المسيح لفيلبس طريق حبة الحنطة ولكنه ما زال قصير النظر. لم يحصل على عين الايمان. اراد فيلبس ان يختبر رؤية الآب بالعيان وليس بالإيمان. اراد ان يرى الآب بدون وساطة الابن. وهكذا عبر عن عدم ادراكه لمفهوم رؤية الله الابن. اراد فيلبس ان يجعل الاختبار هو اساس علاقته مع الله.

سعى فيلبس لرؤية الآب ولم يدرك قيمة رؤية الابن. فمن يرى الابن يرى الآب. ويهتم يوحنا بموضوع البصر والرؤية. يتحدث عن الرؤية بالنفي فيقول ان الله لم يره احد قط (يو 1: 18). ولا يستطيع احد ان يرى ملكوت الله إن لم يولد ثانية (يو 3: 3). رؤية الله وملكوته مرتبطة بالإيمان بالمسيح فإن الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله (يو 3: 36). ويقول يسوع لليهود الذين يريدون ان يقتلوه "والآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا ابصرتهم هيئته، وليس لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذي ارسله هو لستم انتم تؤمنون به" (يو 5: 37 - 38). بكلمات اخرى، من لا يؤمن بالابن لن يرى الله. لم يدرك فيلبس ان طريق رؤية الآب هو ليس اختبار حضور الآب بشكل مرئي. فالله روح قدوس والإنسان يفتقر إلى الطبيعة الإلهية وإلى القداسة التي بدونها لن يرى احد الرب ويعيش (عب 12: 14).

ويتحدث يوحنا عن الرؤية بشكل ايجابي. يشهد يوحنا اننا رأينا مجده (يو 1: 14). ويقول المعمدان انه رأى وشهد ان يسوع هو ابن الله ورأى ايضا روح الله نازلا مثل حمامة (يو 1: 29 - 32)، ويقول "ليس ان احدا رأى الآب إلا الذي من الله. هذا قد رأى الآب" (يو 6: 46). ويقول أن ابراهيم رأى يوم المسيح (يو 8: 56). ويقول المسيح لمرثا "إن آمنت ترين مجد الله" واضعا الايمان قبل الرؤية (يو 11: 40). الإيمان بالمسيح هو طريق رؤية الآب. قال يسوع "الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي بل بالذي ارسلني. والذي يراني يرى الذي ارسلني" (يو 12: 44). قال يسوع لفيلبس "الست تؤمن أنني أنا في الآب والآب في" (يو 14: 10)؟ إن الإيمان بوحدة الآب والابن في الجوهر والعمل هو الوسيلة الوحيدة لرؤية الآب. بكلمات اخرى، ركز فيلبس على الاختبار وصحح المسيح مفهومه عن رؤية الله بالتركيز على الإيمان بوحدة الآب والابن موضحا ان كلمات المسيح واعماله هما دليل هذه الوحدة.

اعتراض يهوذا

رابعاً، اعترض يهوذا لأن أقوال المسيح لا تلائم توقعاته الدينية. لقد اراد يهوذا ان يُظهر المسيح نفسه لكل العالم. فاعترض عندما قال المسيح "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه ابي، وأنا احبه، واطهر له ذاتي" (يو 14: 21). اعلن المسيح ان سيُظهر ذاته لفئة المحبة التي تحفظ وصايا المسيح. أما يهوذا فاراد ان يروج فكر اليهودية في القرن الاول المتعلق بظهور المسيا لكل العالم. وتمسك يهوذا بالقيم والمقاييس الدينية فاعترض على كل ما لا يتناسب مع فكره الديني. فكيف لا يحكم المسيا من اورشليم ويصبح هيكلها موضوع اهتمام كل الشعوب. حول المسيح نظر يهوذا عن فهمه لدور المسيا ووجهه إلى موضوع المحبة. فالمحبة هي طريق بناء الهيكل الذي يسكن فيه الآب والابن. وقال المسيح "إن احبني احد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، واليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يو 14: 23). المحبة هي مكان سكنى الله. وهي مفتاح فرح التلاميذ حتى عندما يشاهدون الصليب وذهاب المصلوب إلى الآب. قال المسيح "لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت امضي إلى الآب، لأن ابي اعظم مني" (يو 14: 28). إن المحبة هي مفتاح الثقة بالرب. فالذي يحب الله يثق فيه ويؤمن بخطته. ذهاب المسيح الى الآب هو الطريقة التي قرر بها الله ان يجمع كل احبائه معه إلى الأبد.

ولكن لماذا قال المسيح لتلاميذه ابي اعظم مني؟ اولاً، علينا ان ندرك ان المسيح لا يتحدث عن اكثر من إله، واحد اعظم من الثاني. فاليهودية والمسيحية تتادي باله واحد. ولا يُلغي النص الوهية المسيح التي اعلنها في عدة مراجع في يوحنا (يو 1: 1، 18 / يو 20: 28). فكيف يكون الآب اعظم (ميدزون - μείζων) من الابن؟

يستخدم يوحنا الكلمة اليونانية ميدزون (μείζων) ليشرح ان المسيح اعظم من يعقوب (يو 4: 12). وتكمن عظمة المسيح في هويته وفي عمله. يقول المسيح للسامرية "لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك اعطيني لأشرب، لطلبت انت منه فأعطاك ماء حياً" (يو 4: 10). المسيح في جوهره وخدمته اعظم من يعقوب.

ويقول يوحنا ان المسيح اعظم من ابراهيم ومن كل الانبياء. وشهادته اعظم من يوحنا، اعظم انبياء العهد القديم (يو 5: 36 / مت 11: 11). ولقد سأل اليهود المسيح قائلين: "العلك اعظم (μείζων) من ابينا ابراهيم الذي مات. والانبياء ماتوا. من تجعل نفسك" (يو 8: 53)؟ اجاب المسيح قائلًا: "قبل ان يكون ابراهيم انا كائن" (يو 8: 58). لم يقل المسيح كنت قبل ان يكون ابراهيم او قبل ان يكون ابراهيم انا

كنت بل قال انا كائن (ايجو ايمي - ἐγὼ εἰμι). وبهذا اعلن المسيح انه الله. فرجع اليهود الحجارة ليرجموه لأنه ادعى الألوهية (يو 8: 59).

لهذا من الممكن ان يقول البعض امثال شهود يهوه ان الآب اعظم من الابن في الجوهر. إلا اننا يجب ان نحذر من هذا التفسير الذي لا يتناغم مع فكر يوحنا الذي بيّناه اعلاه. ويجب ان ننتبه ان كلمة اعظم لا تستخدم فقط للتعبير عن التفوق النوعي. فبينما يستخدم يوحنا كلمة ميدزون (μεῖζων) في كتاب الآيات (يو 1-12) للتعبير عن تفوق يسوع في هويته وعمله، يستخدمها في كتاب الساعة (يو 13 - 21) للتعبير عن التفوق في الدور بالرغم من المساواة في الجوهر. فيقول "ليس عبد اعظم (μεῖζων) من سيده ولا رسول اعظم (μεῖζων) من مرسله" (يو 13: 16 / 15: 20). فهذا المثل هو مثل عام يشرح اختلاف الادوار بين العبد والسيد والرسول والمُرسل. لا يقول هذا المثل ان جوهر او طبيعة السيد افضل من العبد. ففي المثل كلاهما بشر. بكلمات اخرى، لا يتحدث النص في يو 14: 28 عن تفوق جوهر الآب عن جوهر الابن. فالآب والابن واحد في الجوهر. ولكنه يتحدث عن اختلاف الدور بين الآب والابن. وكما يقول كارسون ان الآب هو الله المُرسل والأمر والمسيح هو الله المُرسل والمطيع.⁶⁸ فالمسيح يريد من تلاميذه ان يفرحوا انه سيمضي إلى الآب وانه مطيع لتعليمات الله المُرسل. طاعة المسيح للآب هي تعبير عن محبته للآب. يقول المسيح "أني احب الآب وكما اوصاني الآب هكذا افعل" (يو 14: 31). ومحبة التلاميذ للمسيح يجب ان تنعكس بطاعتهم لوصاياه (يو 14: 15) التي اخذها من الآب. فلو كانوا يحبون المسيح لفرحوا بخطة الآب الذي ارسل المسيح ووصاه ان يمضي إلى الصليب. هو وسيلة تجميع كل احباء الله معا إلى الابد وهو طريقة فداء العالم.

⁶⁸Carson, 508.

الفصل السابع

أنا هو الكرمة الحقيقية (يو 15: 1) ⁶⁹

غنت مطربة البادية السمراء سميرة توفيق اغنية تراثية قاتلة: "بين الدوالي والكرم العالي. تحت العريشة نرقص ونغني ما احلى هالعيشة واحنا في الجنة". نحب ان نقول لسميرة ان الكرم العالي نزل إلى الارض وأن الدوالي تغني الآن ما احلى العيشة مع كرمة العالي. فدعونا نتأمل في هذه الكرمة في يوحنا 15 وفي حياة اغصانها. فأنتم هذه الاغصان. ولكن اي نوع من الأغصان انت؟ هل انت غصن مثمر او بدون ثمر؟ هل انت غصن ثابت ام غصن قطعه الله ونزعه من الكرمة لأنه بدون ثمر؟

قال احد اللاهوتيين إن مثل الكرمة شجع الكثير من الناس عبر العصور إلا انه في ذات الوقت اثار خلافا بين المؤمنين بسبب مفهومهم عن قطع الاغصان او معتقداتهم عن الارتداد والضمان الابدي للمؤمن. ⁷⁰ هذا الاختلاف ظاهر في تعدد وتنوع المقالات الاكاديمية التي تحاول ان تشرح هوية الغصن غير المثمر في يو 15: 2. يقول المفسرون ان الغصن غير المثمر هو (1) مؤمن مرتد، (2) غير مؤمن، او (3) مؤمن غير مثمر سيختبر دينونة من الله وليس فقدان الخلاص. ويشرح البعض ان كل غصن لا يأتي بثمر يرفعه الكرام ولا ينزعه. يعارض آخرون قائلين ان الغصن غير المثمر سينزعه الكرام وسيفقد خلاصه. ويجادل لاني (Laney) ان الغصن غير المثمر هو المسيحي بالإسم وليس المسيحي الحقيقي والفعلي. ⁷¹ بينما يقول شافر (Chafer) ان الغصن غير المثمر هو مؤمن سيؤدبه الرب في هذه الحياة وربما سيموت بسبب هذا التأديب. ⁷²

هذا الحوار اللاهوتي مهم ولكنه شنت الناس عن هدف كلمات المسيح وتشديده على اهمية الثمر في حياة المؤمن وعلى ضرورة ثباته في الكرمة التي تمنح الحياة والثمر وتوحد كل الاغصان معا. لهذا

⁶⁹ يستخدم النص اليوناني عبارة "انا هو" (ايجو ايمي - Ἐγώ εἰμι) لهذا لم استخدم نص ترجمة الفانديك - سميث "انا الكرمة الحقيقية" (يو 15: 1) بل استخدمت الكلمات "انا هو الكرمة الحقيقية".

⁷⁰ Joseph Dillow, "Abiding Is Remaining in Fellowship: Another Look at John 15: 1-16," *BSac* 147 (1990): 44.

⁷¹ Laney, "Abiding Is Believing: The Analogy of the Vine in John 15: 1-6," *BSac* 146 (1989): 61.

⁷² Lewis Chafer, *Systematic Theology* (vol. 7, Dallas: Dallas Seminary Press, 1948), 4.

لن ندخل في تفاصيل الحوار اللاهوتي الذي يفرض نفسه عنوة على النص فيحاول ان يجمع افكار الله في علبة فكرية بشرية تخلو من التوتر والتعارض بين الافكار. لا يعطي هذا الحوار اهتماما كافيا لهدف الكلام الكتابي بل يتمحور في اثبات صحة المعتقدات اللاهوتية الموجودة في ذهن المفسر.

خلافًا لهذه التوجهات، سنمنح الكتاب المقدس الفرصة في قول ما يريد حتى وإن كان قوله لا يتحدث عن تساؤلاتنا المهمة المتعلقة بالارتداد او الضمان الابدي. سنركز على النص الكتابي. ويبدو لنا استنادا إلى دراسة النص وسياق الكلام في كل الانجيل أن هدف النصوص الكتابية المتعلقة بالكرمة هو تحذير الشخص غير المثمر وتشجيع المؤمن المثمر على زيادة الثمر بالثبات بالمسيح.

الكرمة في العهد القديم

دعونا الآن نتعامل مع الآيات الكتابية مؤكداين الاهداف التي يريد ان يحققها النص. يعلن المسيح انه الكرمة الحقيقية. يقول المسيح "انا الكرمة الحقيقية وابي الكرام" (يو 15: 1). ويستخدم يوحنا كلمة "اليثينوس" (الحقيقي - ἀληθινός) كصفة عدة مرات. فهناك النور الحقيقي (يو 1: 9)، والساجدون الحقيقيون (يو 4: 23)، والخبز الحقيقي (يو 6: 32)، والكرمة الحقيقية (يو 15: 1)، والإله الحقيقي (يو 17: 3). كل هذه الاستخدامات مرتبطة بالمسيح، الطريق الوحيد إلى الإله الحقيقي. بكلمات اخرى، يميز يوحنا بين النور والنور الحقيقي الذي بعكس توقعات الغنوسيين (Gnostics) سيتصل مع العالم وينير ليس فقط بعض الاشخاص المستنيرين بل كل إنسان يقبل المسيح. ويميز يوحنا بين سجود السامريين وسجود اليهود في مواقعهم المقدسة وبين السجود الحقيقي المؤسس على طبيعة المسجود له وليس مكان السجود. ويميز ايضا بين الخبز الذي اعطاه موسى في البرية وبين الخبز الحقيقي الممنوح من الأب والمبذول من اجل اعطاء هبة الحياة، ويميز بين الآلهة الكثيرة وبين الإله الواحد الحقيقي الذي وحده يستحق كل المجد. لهذا من الضروري ان نشدد ان يوحنا يتحدث عن الكرمة الحقيقية لئذكرنا انه توجد كرمة اخرى فشلت في تحقيق مخطط الله لها. هذه الكرمة الفاشلة هي اسرائيل.

ويحدثنا العهد القديم عن إسرائيل ككرمة. راجع على سبيل المثال لا الحصر: مز 80: 9 - 16 / اش 5: 1 - 7، 27: 2 - 5 / ار 2: 21، 12: 10 / حز 15: 1 - 8، 17: 1 - 21، 19: 10 - 14 / هو 10: 1 - 2. ويخبرنا مزمو 80 ان الله هو الكرام الذي اخذ اسرائيل من مصر وغرسها في ارض الموعد. كانت رؤية الكرام نمو الكرمة بشكل لا يوجد له مثل في عالم زراعة الكروم. فمجد الكرمة مرتبط بمهارة الكرام. ولقد اراد الكرام ان تنمو الكرمة في كل الأرض فتغطي الجبال وتمتد من البحر إلى

النهر. ويقول آساف: "كرمة من مصر نقلت. طردت امما وغرستها. هيأت قدامها فأصلت أصولها فملأت الارض. غطى الجبال ظلها، واغصانها ارز الله. مدت قضبانها إلى البحر، وإلى النهر فروعها" (مز 80: 8 - 11). ويعلمنا اشعيا النبي أن الكرام عمل كل ما بوسعه لإنتاج كرمة مثمرة إلا ان الكرمة انتجت عنبا رديئا مهمل البر والعدل (اش 5: 1 - 7). يشرح اشعيا ان مشكلة الكرمة هي ليست الكرام بل فساد شعب الله القديم. يقول: "إن كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل، وغرس لذته رجال يهوذا. فانظر حقا فإذا سفك دم، وعدلا فإذا صراخ" (اش 5: 7).

فكيف تستطيع هذه الكرمة ان تتجو من دينونة الله العادلة وكيف تحصل على الخلاص؟ كيف تستطيع ان تحقق رؤية كرامها؟ يشرح آساف أن الحل يكمن في علاقة الكرمة مع الكرام. فالعلاقة ليست مبنية فقط على ثمر الكرمة بل على اختيار الكرام للكرمة ابنا له (راجع مز 80: 14 - 15). الكرمة هي ابن الكرام، ابن مختار. ويشرح آساف أن رجاء الكرمة مرتبط مع هذه البنوة ومع الشخص الذي يمثلها. يصف آساف هذا الشخص برجل الله الأول او الأيمن ('šyÿÿenyiml y HyÖ - ايش يمينخا) وبابن آدم المختار (εβδα' αεδβ - بن ادام). هذا الشخص هو ابن آدم او ابن الإنسان الذي يجلس عن يمين الله. هذا الشخص هو ابن الإنسان الجالس عن يمين القوة (مت 26: 64). وهو ايضا الطريق إلى عدم الارتداد عن الله وإلى الثبات والحصول على الحياة.

في ضوء هذه الاقوال، نستطيع ان نقول أن المسيح هو الكرمة الحقيقية. فهو رجل الله الأول وابن الإنسان وهو ايضا ابن الله الوحيد الفريد في بنوته. لا يوجد من يمثل بنوة الكرمة للكرام افضل منه. هو افضل كرمة تحقق خطة الله. فإن كانت الكرمة تعكس مهارة الكرام فالمسيح هو كلمة الله وهو افضل طريق تبين وتظهر قدرة الكرام. يقول يوحنا "الله لم يره احد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر" (يو 1: 18). ويقول المسيح لتوما "لو كنتم عرفتموني لعرفتم ابي ايضا" (يو 14: 7). ويقول المسيح لفيلبس "الذي رأي فقد رأى الأب" (يو 14: 9). بإيجاز، المسيح هو افضل كرمة بسبب بنوته وطبيعته الفريدة، وبسبب اقواله ومواقفه واعماله التي تعكس هوية ومجد الله الأب. هو الكرمة الحقيقية او الاصلية او الفضلى التي ستحقق من خلالها خطة الله. لقد فشلت اسرائيل، الكرمة الأولى، في تحقيق خطة الله وهوذا المسيح الكرمة الحقيقية يحقق خطة الأب.

المسيح هو الكرمة التي تعطي الحياة للأغصان. وهو مصدر الثمر. وهو الذي يوحدنا. وتجمع الكرمة كل الاغصان بالرغم من اختلافات قدراتها على الثمر واختلاف شخصياتها واختلاف احجامها

والوانها. فهناك الاغصان الافريقية والاعصان الآسيوية والاوروبية والامريكية والاسترالية. وهناك الاغصان الشابة والكبيرة والفاتحة والغامقة. كلها متصلة بكرمة واحدة. الكرمة هي الوسيلة الوحيدة لوحدة هذه الاغصان وبقائها حية.

الكرمة في القرن الأول

بعد شرح خلفية العهد القديم، دعونا ننتقل الآن إلى القرن الأول لنفحص الخلفيات الزراعية للكروم (Viticulture). يشرح جاري دريكسون طرق العناية بالكروم في القرن الأول محاولاً ان يفسح الطريق امام فهم افضل للنصوص الكتابية في يوحنا 15:73. يقول ان الكرمة قد تنمو على الارض أو قد تعلق على عمود.⁷⁴ ولقد كان المزارع يرفع قطوف العنب عن التراب لئلا تقسد. وعندما جاء الرومان صار المزارعون يرفعون العنب على اعمدة فتحسن الثمر بسبب تدفق الهواء عليه. يضيف دريكسون ان المزارع في القرن الاول في فلسطين يشذب العنب مرتين في السنة. المرة الاولى بعد الحصاد مباشرة حين ينزع المزارع كل الاوراق (ورق الدوالي) وبعض الأغصان وتدخل الكرمة في سبات. المرة الثانية في الربيع في موعد الازهار. في ذلك الموسم يشذب المزارع الكرمة نازعاً الاغصان الميتة والغصينات الغضة ومبقيا الاغصان التي ستحمل الثمر. يحاول المزارع ان يحد نقاط الازهار لئلا تنمو الاغصان بسرعة فتحمل عنبا صغيرا بالرغم من كثرة ورقها. إن كانت نقاط الازهار قليلة حينها تنمو الكرمة بسرعة ولكنها لا تنتج عنبا كثيرا او جيدا. وإن كانت نقاط الازهار كثيرة تنتشعب الكرمة في نموها فتضيع قوتها في نمو الاغصان بدلا من انتاج الثمر. وعادة يترك المزارعون بين 8 - 20 بُرُعا. إذا التشذيب يتحكم في سرعة النمو وحجمه هادفاً إلى انتاج الثمر الكثير. هذا ما يعمله الآب في الأغصان. يتحكم الآب في حجم النمو وفي سرعته هادفاً إلى انتاج الثمر الكثير. فعمل الغصن في عشرة خدمات قد يحرمه من الثمر الناضج في خدمة واحدة. وتسرع الغصن في اخذ الخطوات نحو الهدف قد يحرمه من حكمة الصلاة وحساب النفقة والاعتماد على الله لاجل الثمر الكثير. في ذات الوقت قد يتباطأ البعض اكثر من اللازم فيحتم الآب بالكلمة المنقية. يقول يسوع لتلاميذه "أنتم الآن انقياء لسبب الكلام (او اللوجوس) الذي كلمتكم به" (يو 15: 3).

⁷³Gary Derickson, "Viticulture and John 15: 1-6," *BSac* 153 (1996): 34-52.

⁷⁴المرجع السابق، 44.

الكرمة والأغصان

ويوجد في كرمة الأب ثلاث انواع من الأغصان: الغصن الذي لا يأتي بثمر، الغصن الذي يأتي بثمر، والغصن الذي يأتي بثمر اكثر (يو 15: 2). دعونا نبدأ الحديث عن الغصن الذي لا يأتي بثمر.

1. الغصن غير المثمر

مشكلة هذا الغصن غياب الثمر. كان هذا الغصن جزءا من الكرمة. شعر بأغصانها، شرب من مائها، وشاهد ثمار الأغصان الأخرى. حصل هذا الغصن على كل الإمكانيات الضرورية لإنتاج الثمر ولكنه لم يأت بثمر. بالرغم من الشركة مع الكرمة والأغصان وبالرغم من الطعام لم يثمر الغصن. ويشرح دريكسون قائلًا ان كرام القرن الأول ترك اجزاء لا تحمل ثمرًا في الكرمة ولكنها ليست بلا هدف. فبعضها سيزود الكرمة بالخشب اللازم في السنة القادمة.⁷⁵ وسيكون هذا الجزء المتروك اساسا للنمو الجديد للكرمة. وهكذا يفسر دريكسون العدد الثاني قائلًا ان كل غصن لا يأتي بثمر يرفعه المسيح رابطًا اياه بالعمود لمنفعة الكرمة في السنة القادمة اما الاغصان المثمرة فتتقى لتأتي بثمر اكثر في موسم الإثمار. تنمو الاغصان غير المثمرة بدون اي تنقية لكي تكون سميكة وتمكن الكرمة من اعطاء ثمر اكبر في السنة القادمة. فتعلقها على العمود يعطيها فرصة اكبر للنمو بسبب الهواء الوفير. وهكذا يكون الغصن في المسيح بالرغم من انه لا يحمل ثمرًا تلك السنة.⁷⁶ تفسير دريكسون خلاق ولكنه غير مقنع ولا يتعامل جيدا مع قول المسيح انه ان كان احد لا يثبت فيه سيطرح خارجا كالغصن (يو 15: 6). اصف إلى ما سبق، لا يتحدث النص عن حقيقة زراعية بل عن حقيقة لاهوتية متعلقة بإنتاج الثمر. بايجاز، الثمر هو علامة الثبات في المسيح. الإيمان بدون ثمر ميت وثمر الإيمان هو المواقف والأقوال والأعمال.

ما هي مشاكل الغصن غير المثمر؟ لم يطع هذا الغصن نصائح المسيح. قال المسيح "اثبتوا في" (يو 15: 4). لاحظ ان المسيح يأمر الغصن ان يثبت مستخدما فعل الامر وقائلًا "اثبتوا في" (يو 15: 4).

⁷⁵المرجع السابق، 46.

⁷⁶إن كان العدد الثاني يتحدث عن تشذيب الربيع فإن العدد السادس يتحدث عن تشذيب الخريف حين ينزع المزارع الاغصان الكبيرة ويحرقها لأن هذه الاغصان غير نافعة لهذا الموسم. تفسير دريكسون غير مقنع ولا يأخذ يو 15: 6 بشكل جدي. ولا يوجد اي تبرير كتابي يجعل العدد الثاني يتحدث عن تنقية الاغصان في الربيع بينما العدد السادس يذكر طريقة التخلص من الاغصان في الخريف. إدعاء دريسكون انه يوجد فرق في نوعية الاغصان في يوحنا 15: 2 و 6 بحسب موسم التشذيب هو خال من الصحة. ببساطة، النص يستخدم نفس الكلمة (كليما - κλημα - غصن) في يو 15: 2، 4، 5، و 6.

فالغصن عنده الخيار ان يثبت او ان لا يثبت. وإن لم يثبت سيطرح خارجا ويطرح في النار (يو 15: 6). وهنا نسأل اين يجب ان يثبت الغصن؟ وكيف نفهم العبارة اليونانية (إن ايموي - ἔν ἔμοι) المترجمة "في"؟ تتكرر هذه العبارة المترجمة ستة عشرة مرة في إنجيل يوحنا (يو 6: 56 / 10: 38 / 14: 20، 11، 20، 30 / 15: 2، 24، 5، 6، 7 / 16: 33 / 17: 21، 23). ويجمع يوحنا الثبات وكلمة "في" في نفس العبارة في اصحاحين فقط: الاصحاح الخامس عشر والاصحاح السادس. يقول يسوع "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه" (يو 6: 56). فإن كان الاصحاح الخامس عشر يتحدث عن وصية الثبات ونتائجها قائلاً "اثبتوا في وانا فيكم" (يو 15: 4) فإن الاصحاح السادس يتحدث عن وسيلة الثبات في المسيح قائلاً من يأكلني يثبت في وانا فيه (يو 6: 56). أكل جسد المسيح وشرب دمه هما وسيلة الثبات. وهكذا يشبه المسيح شجرة الحياة التي حرسها الله بالكروبيم وسيف متلقب إلا انه يختلف عن هذه الشجرة بحضوره في محضر البشر الخاطئة بصورة الخبز النازل من السماء ليعطي حياة ابدية. فالكلمة الذي في محضر الأب صار جسدا من الممكن اكله. فكما ان اكل ثمر شجرة الحياة يعطي حياة ابدية فإن اكل الخبز الحقيقي يعطي هذه الحياة. طبعاً من غير المعقول ان نفسر قول المسيح كدعوة لسامعيه ان يبدأوا باكل لحمه ويشربوا دمه كأكلي لحوم البشر. بل من الافضل ربط قول المسيح بالذبيحة التي سيقدمها على الصليب. سيحصل الإنسان على الحياة إذا اكل من الذبيحة المقدمة للأب. فكل من يؤمن بالإبن وبتجسده واعماله وبموته وقيامته وصعوده سيحصل على الحياة الابدية وسيثبت بالكرمة وتثبت حياة الكرمة فيه.

يقول يو 15: 4 "ان الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته". ربما حاول الغصن غير المثمر أن ينتج الثمر معتمداً على ذاته، ففشل! حاول ان ينتج ثمرا سماوياً بدون عمل الله بل بالأعمال البشرية. فالعظمت او الكلمات والاعمال الصالحة البشرية غير مؤهلة ان تكون جزءاً من الكرمة. إن شرط الإنضمام إلى الكرمة هو اعتماد الكامل على الكرمة اي على شخص المسيح وعمله. فالغصن غير مستقل بحياته ودعوته ونموه وعلاقته بالأغصان الاخرى. الغصن معتمد كلياً على الكرمة. احلام الغصن معتمدة على خطة الكرمة لكل الأغصان.

وربما تكون مشكلة الغصن انه حاول ان ينتج ثمرا متغاضياً عن مركزية الكرمة. يقول المسيح "بدوني لا تقدرون ان تفعلوا شيئاً" (يو 15: 5). ربما حاول هذا الغصن ان يفعل اشياء كثيرة بواسطة بواسطة الفريسيين او الرومان او بواسطة اديان اخرى. ليست هذه الاعمال جزءاً من الكرمة لأنها بدون مبادرة وبركة ورعاية الكرمة، ولأنها لا تحمل ختم المسيح. فكما ان الغصن لا يقدر ان يفعل شيئاً بدون الكرمة هكذا كل مسيحي تخلى عن مركزية المسيح. ثمرة حياة هذا الغصن لا تليق بالكرمة ولا بالكرام.

رسالة المسيح للغصن الذي بلا ثمر هي رسالة تحذير ودينونة. ويحذر المسيح ان مصير عدم الثبات فيه يشبه مصير الغصن الذي ينفصل عن الكرمة. مصير هذا الغصن موته وجفافه. سيصبح خشبة بلا حياة وبلا ثمر. سيفقد لونه وهويته ورسالته. سيجف ويكون مصيره الاحتراق بالنار.

2. الغصن الذي يأتي بثمر

احسن هذا الغصن في ثباته واعتماده على الكرمة. وانتجت حياته الثمر، إلا أن تعامل الله معه لم ينته فهو بحاجة إلى التتقية أو التطهير (καθαρίζω - كاثاريدزو) حتى تتحقق مشيئة الله فيه. ويقول الكتاب المقدس "كل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب 9: 22)! ويضيف كاتب السفر ان تقديم جسد يسوع يطهرنا من خطايانا (عب 10: 1 - 10). ويظهر الله الغصن من الخطيئة بواسطة الاعتراف والتوبة. فيقول يوحنا "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية . . . إن اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل خطية" (1 يو 1: 9، 7). تفسد الخطية شركتنا مع الأب ومع بعضنا البعض وتقودنا إلى الضلال. ولكن الله هو مطهر القلوب. قال بطرس "الله العارف القلوب، شهد لهم (للامم) معطيا لهم الروح القدس كما لنا ايضا. ولم يميز بيننا وبينهم بشيء، إذ ظهر بالإيمان قلوبهم" (اع 15: 8 - 9).

بالرغم من تعدد وسائل التطهير إلا ان التطهير في يوحنا مرتبط بالكلمة. فيقول الرسول يوحنا: "أنتم الآن انقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به" (يو 15: 3)، ويمكن ان نترجم الجملة بالعبارة التالية: انتم الآن طاهرون (καθαροί - كاثاروي) بواسطة الكلمة (λόγον - لوجون) التي كلمتكم بها. إن الكلمة اي اللوجوس هي وسيلة تطهير الاغصان (راجع اف 5: 26). اللوجوس هو ليس فقط الله الكلمة ولكنه ايضا البشارة السارة التي تحوي رسالة الانجيل. إن الكلمة هي احاديث الرحيل التي تشرح موت يسوع لاجل احبائه. قال لهم يسوع "ليس لأحد حب اعظم من هذا: ان يضع نفسه لأجل احبائه" (يو 15: 13). لقد تبع قول يسوع عمله. وكانت الكلمة هي عربون عمل الفداء وصار عمل الفداء الكلمة السارة. فلا يوجد فرق بين الكلمة والعمل عندما تكون الكلمة هي كلمة الله الفعالة والحية.

3. الغصن الذي يأتي بثمر أكثر

سنتحدث الآن عن الغصن الذي يأتي بثمر كثير او ثمر اكثر. ذكر المسيح فكرة الثمر الاكثر او الكثير في يو 15: 2، 5، 8. وذكر يوحنا طريق الثمر الاكثر عندما قارن بين عمل المسيح وعمل يوحنا المعمدان (يو 4: 1) او ايمان الناس بسبب كلام المرأة السامرية او بسبب كلام يسوع المباشر (يو 4: 39 - 41). وهنا الفت انتباه القارئ ان النص الذي يتحدث عن الكرمة محاط بثمر الروح (محبة، فرح، وسلام) ومحاط ايضا بالحديث عن الروح القدس وخدمته في حياة اتباع المسيح. والسبب بسيط. فطريق الثمر الاكثر والاعظم مرتبط بعمل الآب الكرام والابن الكرمة والروح المعزي. يقول يسوع "الحق الحق اقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا اعملها يعملها هو ايضا، ويعمل اعظم منها، لأنني ماض إلى ابي" (يو 14: 12). كيف يعمل المؤمن اعمالا اعظم من اعمال المسيح؟ هل سيعمل اعمال اعظم في كميتها او في نوعيتها؟ هل سيعمل آيات اكثر من المسيح؟ لا اعتقد ذلك. فلقد فعل المسيح آيات كثيرة لا تستطيع كتب كثيرة ان تحويها (يو 21: 25). فكيف سيعمل المؤمن اعمالا اعظم من المسيح؟ هل سيقوم موتى اكثر او يشفى امراضا لم يستطع المسيح ان يشفيها؟ لا اعتقد ذلك. إن الاعمال الاعظم لا تعني إذن اعمالا اعظم في عددها أو اعظم في درجة صعوبتها. واساس الاعمال الاعظم هو عمل الابن وعمل الروح القدس. الابن سينطلق إلى الآب وسيرسل الروح القدس. قال يسوع لتلاميذه "انه خير لكم أن انطلق، لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي" (يو 16: 7). إن طريق الثمر الاكثر معتمد على حبة الحنطة التي ماتت لتأتي بثمر كثير (يو 12: 24). موتها وصعودها فتح الباب امام ارسال الروح المعزي. وسيكون عمل التلاميذ اعظم لأنه ينتمي إلى عصر ما بعد الصليب وبعد القيامة. لم يستطع الكثير من الناس ان يثبتوا في ايمانهم بالمسيح لأن المسيح لم يكن قد تم عمل الصليب وارسل الروح. لاحظ على سبيل المثال كيف ابتدأ الاصحاح السادس من يوحنا بعدد كبير من الناس وانتهي بالاثني عشر فقط. بايجاز، طريق الثمر الاكثر مؤسس على عمل المسيح وعلى تنفيذ الروح القدس بعد انسكاب الروح على الكنيسة يوم الخمسين. فبينما لم يثبت الناس في يوحنا 6 وارثوا عن المسيح، ثبت المؤمنون بعد انسكاب الروح القدس بالرغم من كل التحديات. وهكذا ثبت من آمن بواسطة بطرس في عظته يوم العنصرة ولم يثبت من آمن بالمسيح بعد ان صنع آية تكثير الخبز.

اضف إلى ما سبق، يعتمد طريق الثمر الاكثر على التزام المؤمن بمحبة اخوته. هنا لا يتحدث النص عن محبة الاعداء او القريب بل عن محبة الاخوة والاخوات. يقول يسوع "احبوا بعضكم بعضا كما احببتكم" (يو 15: 12). إن طريق الثمر الاكثر هو التضحية في سبيل الاخوة، والكنائس والمؤسسات المسيحية الاخرى او الخدام اصحاب الطبع الحاد. فليس هناك محبة اعظم من محبة صلب الذات في سبيل

اكرام الآب بين اولاده وبناته. المحبة هي ليست فقط اعطاء النفس للرب بل ايضا اعطاء نفوسنا للكنيسة! حينها سنكون جماعة المحبة.

ويعتمد ايضا طريق الثمر الاكثر على الصلاة والطلب. ويشدد المسيح على اهمية الطلب من الآب. فيذكر هذا الموضوع في يو 14: 13 - 14 / 15: 7، 16. إن الصلاة هي مفتاح امتلاك الثمر الذي يدوم. ونحن في احوج ما نكون إن نصلي كما صلى يسوع. نصلي بإلحاح وكل يوم. فتكون صلاتنا مثل شخص يمسك حبلًا طرفه الأول في الارض وطرفه الآخر في السماء. في طرف السماء يرتبط الحبل بجرس يدعو الله للاستجابة وينبه الملائكة. قد يشد هذا الشخص الحبل بتكاسل وضعف بعد ان تنتهي البرامج التلفزيونية او بعد ان يتعب ويكون مستعدا للنوم. أو قد يمسك الحبل كلما سنحت الفرصة ويشد بكل قوته لأن هذا الحبل مربوط بجرس في السماء. وكلما شده اكثر صرخت الملائكة وتحركت قائلة لله ماذا ستفعل لهذا المصلي؟

في ختام هذا الفصل، اذكر القارئ أن الكرمة قد يكون فيها غصن بلا ثمر، او غصن فيه بعض الثمر، او غصن فيه الثمر الكثير. إن اردنا إن نحصل على الثمر الكثير علينا ان نثبت في دائرة كلمة وعمل المسيح وعلينا ان نرتبط بفكرنا وعملنا بالروح القدس وعلينا ان نشدد على طريق المحبة والصلاة.

الفصل الثامن

أنا هو . . فمن انت؟

المقدمة

بعد ان سمعنا عن اقوال يسوع التي توضح هويته، قد يكون بعضنا مجربا ان يفكر في الامور المكتوبة اعلاه بدون اعتبار علاقتنا مع الله. وبعد ان درسنا اقوال المسيح الرائعة التي تبدأ بالعبارة "أنا هو" قد يكون بعضنا متباطئين عن دعوة الله لتغيير هويتنا. لهذا وجدت انه من المناسب ان نختم هذا الكتاب بالحديث عن هويتنا في ضوء اعلانات يسوع. فهذا امر مهم في انجيل يوحنا.

1. هوية يوحنا المعمدان

لاحظوا ان الرسول يوحنا يتحدث عن هوية يوحنا المعمدان بعد ان يعلن هوية الله الابن المتجسد (يو 1: 19 - 28). في ضوء اعلان الله عن الكلمة المتجسد، نرى ان يوحنا ليس بمستحق ان يحل سبور حذاء المسيح. لقد توقع الناس في القرن الاول ان يطيع التلميذ معلمه كما يخدم العبد سيده. فالسيد قد يطلب من العبد الكثير من الاشياء ولكنه من غير المقبول ان يطلب منه فك سبور حذاءه.⁷⁷ خلافا للتوقعات، اعتبر يوحنا فك سبور حذاء المسيح شرفا عظيما. ففي ضوء معرفته لهوية المسيح اكد المعمدان ان المسيح ينبغي ان يزيد وانه ينبغي ان ينقص (يو 3: 30). وبهذا قدم لنا يوحنا مثلا يُحتذى به. إن اعظم المسيحيين هو من يُظهر المسيح في كل شيء.

2. هوية نثنائيل

بينما عظم المعمدان شأن المسيح، قلّ نثنائيل من قيمة السيد المسيح قائلا: "أمن الناصرة يُمكن أن يكون شيء صالح" (يو 1: 46)؟ يقول سترينج (Strange) ان الناصرة في القرن الاول كانت قرية زراعية صغيرة يسكنها اقل من اربع مئة وثمانين إنسانا.⁷⁸ وتقول دائرة المعارف الكتابية ان الناصرة لم

⁷⁷David Daube, *The New Testament and Rabbinic Judaism* (University of London: Athlone Press, 1956), 266-267.

⁷⁸James Strange, "Nazareth," ABD 4: 1050.

تُذكر في العهد القديم، ولا في التلمود، ولا في الاسفار الابوكريفية، ولا في كتابات يوسيفوس.⁷⁹ بدون شك ، كانت الناصرة محتقرة ليس فقط في نظر رجال الدين الاورشليميين بل ايضا في عيني نثنائيل. ولقد احتقر نثنائيل كل من يخرج من الناصرة فكانت نظرتة عن يسوع غير صحيحة إلا انه غير فكره عن يسوع واعترف لاحقا ان يسوع هو المسيا ملك اسرائيل (يو 1: 49). تحول نثنائيل من الإنسان الذي احتقر اهل الناصرة إلى الشخص المؤمن بالمسيح الناصري. فكان من اللائق وصفه بالإسرائيلي الذي لا غش فيه (يو 1: 47) خاصة ان الانتماء لابراهيم ونسله متعلق بالتمثل بابراهيم الذي آمن بالمسيح (يو 8: 39، 56). بكلمات اخرى، ربط يوحنا بين هوية نثنائيل وهوية المسيح. فايما نثنائيل بالمسيح يشكّل ويصقل هويته.

3. هوية السامرية

اضف إلى ما سبق، يغيّر المسيح السامرية من زانية إلى مبشرة (يوحنا 4) متحدثا عن ماء حي ينبع إلى حياة ابدية (يو 4: 14). فنلاحظ في لقاء المسيح مع السامرية ان هويتها قد تغيّرت عندما تبدل مفهومها عن هوية يسوع. وهنا سنتحدث عن مراحل التغيير في حوار المسيح مع السامرية.

اولا، قالت السامرية للمسيح "كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية" (يو 4: 9). كان مفهومها عن يسوع انه يهودي وانه رجل يتحدث إلى امرأة. تقول المشنا ان كل نساء السامرة ملوثات بدماء الطمث منذ الحداثة لذلك يجب اعتبار نجاستهم دائمة في كل وقت.⁸⁰ بكلمات اخرى، يتجسس الرجل اليهودي الذي يختلط بامرأة سامرية. وقال اليهود ان تحدث الرابي إلى امرأة حتى ولو كانت زوجته هو إضاعة للوقت وتبديد وقت يجب استخدامه لدراسة التوراة (بيركي ابوت 1: 5). وهو خطأ قد يقود إلى الجحيم. واعتبر بعض الرابينين ان تعليم بناتهن التوراة هو مثل قيادتهن إلى الزنى (مشنا، سوته 3: 4). كلاهما خطأ. لا عجب إذا ان يستغرب التلاميذ ان المسيح يتكلم مع امرأة سامرية (يو 4: 27). ولكن ما اعظم محبة المسيح للسامرية ونعمة الله التي ستجعل شهادتها وخدمتها وسيلة قدوم السامرة إلى المسيح (يو 4: 39). اختار الله امرأة واحدة ليبارك مدينة كاملة. حول المسيح المرأة التي يحتقرها

⁷⁹"الناصره"، دائرة المعارف الكتابية: ن-ي، 9-11.

⁸⁰راجع كارسون (Carson)، 217 - 218. وانظر ايضا

Linda Bridges, "John 4: 5-42," *Int* 48 (1994): 173-176.

المجتمع إلى أداة تظهر عظمة الله. وبهذا اكرم المسيح السامرية واکرم من خلالها كل امرأة. فتحدى المرض الاجتماعي الذي شوه هوية هذه المرأة.

لم يكن اختلاف الجنس بين السامرية والمسيح هو التحدي الوحيد. فالمسيح يهودي وهو يتحدث إلى امرأة سامرية. وبحسب مفهومها هو عدوها وعدو شعبها. ولقد بدأت جذور العداوة بين الشعبين السامري واليهودي عند انقسام مملكة سليمان. تمرد يربعام على رحبعام ابن سليمان. بنى رحبعام شكيم ورفض عبادة يهوه لأنه اله هيكل اورشليم (1 مل 12: 21 - 33). وفيما بعد بنى عُمرى مدينة السامرة سائرا في خطية يربعام الذي جعل اسرائيل يخطيء (1 مل 16: 21 - 28). غضب الله على شعبه الذي رفض تخصيص عبادته ليهوه وحده. فجاء الآشوريون ودمروا مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة سنة 722 ق. م. واسكنوا خمسة شعوب اخرى في الارض. فاختلط نسل يعقوب مع نسل الامم. مما دفع عزرا ونحميا إلى استثناء السامريين من المشاركة في إعادة بناء هيكل يهوه (عز 4: 1 - 5 / عز 9: 1 - 15). لم يُمنَّ هيكل اورشليم السامريين فلا عجب انهم قرروا ان يبنيوا هيكلهم الخاص في جرزيم سنة 400 ق. م. فتوترت العلاقات بين الشعبين اليهودي والسامري ودمر يوحنا هيركانس والي اليهودية هيكل جرزيم في القرن الثاني قبل الميلاد. وغضب السامريون ووضعوا عظاما نجسة في هيكل اورشليم. فصار اليهود يعتبرون كلمة "سامري" مساوية للشيطان (راجع يو 8: 48). واعتبر السامريون ان اليهود من نسل الشيطان. ظنوا ان الشيطان اغوى حواء فولدت قايين الذي جاء من نسله اليهود. وهكذا كانت هناك عداوة بين السامريين واليهود وبين شعب المسيح وشعب السامرية. تعامل المسيح مع هذه العداوة هادفا إلى كسر الحواجز وتحويل القلوب عن طريق الإيمان بالمسيح مخلص العالم. ولكن السامرية بحاجة ان تكتشف هوية المسيح الذي بادر بالقدوم الى الجنس البشري ليعلمن محبة الله ويكسر حائط العداوة. فلو كانت تعلم من هو يسوع لطلبت منه ماء وارتوت من ماء الخلاص.

ثانيا، تساءلت السامرية إن كان المسيح اعظم من يعقوب الذي اعطى السامريين البئر (يو 4: 12). فحدثها المسيح عن عطية اعظم من عطية يعقوب وعرض عليها ماء الحياة الابدية. لم تلاحظ ان المسيح يعرض عليها ماء حيا. كانت المرأة تفكر بالبئر كتجمع للمياه وليس كنبع يفيض بالمياه. استخدمت كلمة بئر (فريار - φρέαρ) التي تدل على مياه متجمعة (يو 4: 11 - 12) بينما استخدم الرسول يوحنا كلمة بئر (بيجي - πηγή) الدالة على المياه الجارية (يو 4: 6). واستخدم يسوع نفس الكلمة بيجي في يو 4: 14 حين قال "كل من يشرب من هذا الماء يعطش ايضا. ولكن من يشرب من الماء الذي اعطيه انا

فلن يعطش إلى الابد، بل الماء الذي اعطيه يصير فيه ينبوع ماء [بيجي] ينبع إلى حياة ابدية" (يو 4: 13 - 14). يغير الماء الذي يعطيه المسيح هوية كل من يشرب منه. ولكن قبل ان نشرب علينا ان نواجه طبيعتنا الخاطئة. ونكتشف مدى عطشنا إلى ماء الخلاص. لهذا كشف المسيح للسامرية عن خطيتها وحاجتها إلى اختبار محبة الله القادرة ان تشبع جوعها.

ثالثاً، بعد ان كشف المسيح للسامرية خبايا حياتها، ادركت ان المسيح هو نبي. وبهذا تطور مفهومها عن المسيح من إنسان يهودي إلى نبي (يو 4: 19). قالت هذا الامر بعد ان اعلن لها المسيح عن جوعها الشديد إلى المحبة. لم تجد السامرية كفايتها في الزواج. فلقد تزوجت خمس مرات وفي المرة السادسة عاشرت رجلا لم تتزوجه. وكلما تقدم الحديث بين المسيح والسامرية كلما ادركنا عظمة المسيح وضعف السامرية وحاجتها إلى الخلاص. ولكن كيف تستطيع السامرية ان تخلص وإلى اية ديانة تتوجه؟ وما هي طريقة السجود الصحيحة؟ لاحظ ان كلمة "سجد" او احد مشتقاتها تتكرر عشر مرات في يو 4: 20 - 24. امام هذه الاسئلة المهمة كشف المسيح ان مكان السجود هو اقل اهمية من طبيعة السجود والتوجه الصحيح للمعبود. فكيف نعرف الله الذي لم يره احد قط؟ نحتاج ان نتلاقى مع المسيح.

رابعاً، ادركت السامرية ان يسوع هو المسيا. قالت للرب يسوع "أنا اعلم أن مسيا، الذي يُقال له المسيح، يأتي، فمتى جاء ذلك يُخبرنا بكل شيء" (يو 4: 25). اجابها يسوع قائلاً "أنا الذي اكلمك هو" (يو 4: 26). وهنا تحول مفهوم السامرية المتعلق بهوية يسوع. فهو المسيا الموعود الذي سيجلب الخلاص لكل العالم (يو 4: 42). ويتحول مفهومها عن المسيح تحولت دعوتها وهويتها فصارت مبشرة السامرة. اختارها الله لكي تنهض كل السامرة وتأتي بسكانها إلى المسيح. وهكذا اظهرت السامرية جرأة وشجاعة اكثر من نيقوديموس معلم اسرائيل الذي جاء للمسيح ليلا ولم يستطع ان يقبل شهادة المسيح ويؤمن بها (يو 3: 1، 11 - 12). فإيمانها بالمسيح غير حياتها.

4. هوية المولود اعمى

ويظهر ايضا اهتمام الرسول يوحنا المتعلق بالهوية في قصة المولود اعمى. لاحظوا نمو ادراك الاعمى لهوية يسوع. وصف المسيح بالكلمات التالية "إنسان يُقال له يسوع صنع طينا وطلاي عيني" (يو 9: 11). ثم قال عنه "انه نبي" (يو 9: 17). واطاف في لقاءه الثاني مع الفريسيين "لو لم يكن هذا من الله لم يقدر ان يفعل شيئاً" (يو 9: 33). واخيراً، بعد ان اخرجته الرؤساء اليهود خارج المجمع وجده يسوع وقال

له: "اتؤمن بابن الله" (يو 9: 35). فأمن المولود اعمى بالمسيح وسجد له. وهكذا تغيرت هوية المولود اعمى من إنسان متسول (يو 9: 8) إلى شاهد عن عمل المسيح الذي وحده يستطيع ان يفتح اعين العميان.

وبينما تغيرت هوية الاعمى إلى الافضل لأنه عرف المسيح تغيرت هوية الفريسيين إلى الأسوء لأنهم رفضوا المسيح. نلاحظ ان الفريسيين كانوا منشقين. قال بعضهم إن يسوع خاطئ لأنه لا يحفظ السبت وقال آخرون "كيف يقدر إنسان خاطئ ان يعمل مثل هذه الآيات" (يو 9: 16). انتصر الحزب الذي رفض المسيح فتعاهد اليهود على عدم الاعتراف بأن يسوع هو المسيا (يو 9: 22). ثم وصفوا يسوع بالإنسان الخاطئ (يو 9: 24) واحتقروه (يو 9: 28 - 29). ولقد جعلهم رفضهم ليسوع وعدم ادراكهم لهويته عميانا لا يبصرون ابن الله (يو 9: 39).

الهوية في انجيل يوحنا

إن الامثلة المدونة اعلاه تكفي لتبين اهتمام يوحنا بالهوية وارتباط تحول هويتنا بواسطة إيماننا بالمسيح. ويوجد في يوحنا امثلة اخرى تظهر اهمية تحول هويتنا مثل الحوار مع نيقوديموس عن الميلاد الثاني وحديث المسيح مع اليهود الذين يدعون انهم ذرية ابراهيم. تحدى المسيح مفهوم هؤلاء اليهود عن هويتهم (يو 8: 30 - 47) واعلن هويته الإلهية (يو 8: 58). وفي الاصحاح الثامن عشر من انجيل يوحنا ينكر بطرس المسيح قائلا "لست انا" (18: 17، 25) اي منكرنا هويته بالرغم من امانة يسوع في حماية تلاميذه وقوله للجنود الذين يطلبونه "انا هو" (يو 18: 4 - 9).

في ضوء ما ذكر اعلاه، نستطيع ان نقول أن يوحنا مهتم في هويتنا وفي هدايتنا. يريد المسيح ان يغيرنا ويهدينا إلى معرفة الله الأب. ومن وجهة نظر يوحنا، الهداية والهوية مرتبطان. عندما نهتدي إلى المسيح ونقبل هويته كما اعلنها يوحنا حينها تتغير هويتنا فنصير اولاد الله (يو 1: 12).

لم ينته عمل الله في إعلان هوية المسيح وفي تغيير الناس ليصبحوا اولادا لله. فهو ما زال يعمل في القرن الواحد والعشرين. وهنا يسرني ان اروي للقارئ اختبارا شخصيا يوضح معنى قبول المسيح والتغيير الذي يصنعه الله في حياة كل من يقبله مخلصاً ورباً.

غير المسيح حياتي

وُلدت وكبرت في مدينة القدس في عائلة كاثوليكية عربية. وسكنت معظم وقتي في درب الآلام في المرحلة الثامنة حيث كنت ارى يوميا جموعا من المصلين والحجاج يحملون الصليب ويرنمون بلغات مختلفة. تعلمت الكثير من الاشياء الحسنة في كنيسةتي ومن اهلي ومجمعي. إلا انني ضللت الطريق حين اصبحت في سن المراهقة. وافسدت المعاشرات الرديئة والقرارات الخاطئة حياتي. بدأت بالتدخين بعد بلوغي اثني عشرة سنة واستعبدني هذا الادمان نحو عقد من الزمان. في سن المراهقة، ضللت الطريق وسلكت في درب الخطية حتى فعلت اشياء اخجل من ذكرها. وعندما دخلت جامعة بيت لحم لدراسة الكيمياء، ابتعدت اكثر عن طريق الله ورفضت وجوده متبنيا الإلحاد كأفضل فلسفة تفسر ما يدور في الحياة. واعتبرت الدين افيون الشعوب وطريق الإنسان الضعيف.

لم يتركني الله بالرغم من خطاياي الكثيرة. وفي سنة 1986 بينما كنت نائما في منزلي في القدس، صار معي امر في شدة الغرابة. استيقظت من النوم على اصوات اجراس الكنائس في مدينة القدس القديمة. وعندما فتحت عيني شعرت بهواء يدخل جسدي ويربطني. لم استطع ان احرك يدي او رجلي ولم استطع ان اصرخ. لم اعرف ما الذي يحدث فأنا لست ميتا ولست نائما. حاولت ان احرك نفسي مستخدما كل الافكار الفلسفية والسيكولوجية التي تعلمتها. ولكنني فشلت في تحرير نفسي. وبعد ساعتين من المحاولات، قررت ان ارفع صلاة. قلت: "يا رب إن كان هذا الامر منك ففكني. وإن فككتني أعدك بأن ابحت عنك". بعد هذه الصلاة القصيرة استطعت ان اتحرك مرة اخرى. فنهضت من الفراش وشربت قليلا من الماء.

بسبب هذا الاختبار، انهار اعتقادي القائل بعدم وجود الله، ودخل في قلبي خوف من الاماكن المظلمة. لم اشرك احدا عن اختباري ولكنني بدأت بالاعتزال عن كل النشاطات التي تعترض على وجود الله. وكنت باستمرار اتذكر ما حدث معي. فكل مرة اسير فيها في طريق مظلم كان الخوف ينتابني وكنت اتذكر ما حدث معي.

بدأت ابحت عن الله. فزرت كنيسة انجيلية في نفس الحارة التي كنت اظن بها. لم اقتنع بما يقدمه الكتاب المقدس. فكيف يعيش انسان مدة خمسين او ستين سنة ثم يضعه الله في جهنم إلى الابد. لم استطع ان اقبل هذا التعليم. ولكن الكنيسة كانت تصلي من اجلي باستمرار. ودعوني مرة اخرى إلى احدى الاجتماعات الخاصة. بدأ الواعظ بالحديث عن يسوع وعن الإنسان الخاطيء. دخلت كلمات العظة إلى قلبي

فأدركت انني خاطئ وانني بحاجة الى المسيح المخلص. في ذات الوقت لم اكن مقتنعا بالمسيحية. صليت في قلبي قائلاً: "يا رب اعلم انني خاطئ. اعطيك قلبي ولكني لا استطيع ان اعطيك عقلي".

في نفس الاسبوع، شاءت الحكمة الإلهية ان تخاطبني السماء بثلاث احلام. شاهدت في الحلم الأول شخصاً يسير في طريق مستقيم. وكانت توجد اشكال بشعة على يمين وعلى يسار هذا الشخص وكنت أنا اسير خلفه ماسكاً بطرف ثوبه وخائفاً من الاشكال البشعة. ثم شاهدت في الحلم الثاني علبة شفافة مثل الزجاج. حاولت كل الاشكال البشعة ان تهاجمني ولكن العلبة منعتهم من الوصول إلي. وفي الحلم الثالث والآخر، شاهدت نفس الشخص الذي كان في الحلم الأول ونفس الاشكال البشعة ولكن في هذه المرة لم اكن اسير خلفه بل كنت في يديه. وعندما كنت افتح عيني في الحلم، كنت اشاهد وجهها يشع بالطمأنينة والسلام. عندما استيقظت سيطرت كلمات قوية على ذهني وكأن شخصاً يتكلم معي بالكلمات التالية: هذا هو الفرق بين النعمة والاعمال. إن اردت ان تتبعني بقوتك فحينها ستتعب ولن تستطيع ان تكمل المشوار. ولكن إن كنت في المسيح فحينها ساحملك. وهذه هي النعمة. وجودك في المسيح يحميك من كل الشرور. لقد حطمت هذه الكلمات كل حصن فكري يقف امام قبولي الكامل لتبعية المسيح من كل القلب ومن كل الفكر.

غيرني يسوع وصنع مني تلميذاً له. توقفت عن عاداتي السيئة وكلماتي البذيئة وبدأت بالشهادة عن المسيح. وبسبب تمسكي بالمسيح، خسرت معظم اصدقائي إلا ان نعمة الله ساعدتني ان ابدأ درس كتاب مقدس في نفس الجامعة التي كنت ادعم فيها الإلحاد.

يسوع المُقدَّس

وبعد ان قبلت الرب مخلصاً وصرت ابناً لله، بدأ الله يقدر حياتي ويحول هويتي. كانت اكبر مشكلة واجهتها هي الكراهية. لقد كرهت الجنود الاسرائيليين الذي اذلوا الشعب الفلسطيني باكثر من طريقة. وعندما آمنت بالمسيح ادركت ان الله يطلب منا ان نحب اعداءنا (مت 5: 43 - 48). لم افهم معنى الحب الإلهي وتصارعت مع الله متساءلاً كيف من الممكن ان يحب انسان فلسطيني جندياً يهودياً؟ كان الجنود يأمروني بأن اقف وانا ذاهب إلى عملي وكانوا يطلبون وثائقي الشخصية او هويتي. ويسألونني اسئلة عن الاشياء التي احملها او المكان الذي اود الذهاب اليه. واحياناً كنت اقف في زاوية في الشارع لاكثر من ساعة وانا انتظر الجندي الذي اخذ هويتي لكي يسألني بعض الاسئلة ثم يطلق سراحي.

لم يطلب الجنود مني الوقوف او اعطاءهم هويتي لأنني فعلت شيئاً شريراً بل لأنني فلسطيني وكل فلسطيني هو شخص مشبوه في امره.

كيف تعامل مع هذا الامر بمحبة؟ لقد وضع الله في قلبي ان اضع داخل وثيقة الهوية نبذة مسيحية بعنوان المحبة الحقيقية. وكانت هذه النبذة مكتوبة باللغتين العبرية والانكليزية وهي اقتباس من سفر اشعيا 53. وضعت النبذة داخل الهوية وعندما اوقفني الجنود اخذوا الهوية وفي داخلها النبذة. فصاروا يسألونني عن النبذة. بدأت اشرح لهم عن محبة المسيح. ولم اقل لهم انني احبهم لانني لا اريد ان اكذب بل قلت لهم ان الله يطلب مني ان اعاملهم بحسب المحبة المعلنة في النبذة. وبدأ الله في تغيير قلبي. فصرت امشي في نفس الشوارع وارى نفس الجنود ولكني لم اعد نفس الشخص. لقد تغيرت هويتي فصرت الشخص الذي يصلني إلى الله ان يوقفه الجنود لكي يشهد عن المسيح.

اذكر في احد الليالي انني تاخرت وانا اطبع نبذة يوم الاحد باللغة العربية. كانت ليلة باردة والنجوم تلمع في السماء عند منتصف الليل. وضعت النبذ العربية داخل معطفي الجلدي صاحب الزمام المنزلق (السحاب). كانت ليلة في زمن سياسي مضطرب فالمنشورات العربية امام جنود يهود لا يجيدون لغة الضاد خطر شديد. وانتشرت في تلك الفترة المنشورات السياسية العربية التي تحرض ضد الحكومة الاسرائيلية. وبسبب هذه المنشورات والكتابات على حيطان المدينة قررت السلطات الحاكمة اصدار قوانين صارمة قائلة ان كل من يطلب منه الجنود ان يقف ولا يفعل ذلك يُعرض نفسه لخطر اطلاق النار.

في تلك الليلة وعند باب العمود في مدينة القدس القديمة شاهدت ثلاثة جنود جالسين عند الباب. ابتداءً قلبي بالخفقان السريع وشفطاي بالتحرك إلى الله القدير. فصليت إلى الله ان يحفظني من الشر. وعندما بدأت من الاقتراب من باب العمود وانا نازل درجاته الكثيرة، اوماً احد الجنود باصبعه الي طالبا مني القدوم إلى محضر الجنود. ولم يكن بالإمكان ان اتغاضى عن الرسالة التي طلبها اصبع الجندي إلا اذا كنت مستعدا ان انال طلقة نارية في ظهري او رجلي. اقتربت من الجنود وفتحت الزمام المنزلق او السحاب بسرعة كبيرة فصدر صوت بسبب اسنانه المعدنية الفضية. حينها خاف الجنود وظنوا انني ساهاجمهم فوضعوا ايديهم على بندقياتهم الرشاشة مصوبينها نحو وجهي. وضعت يدي اليمنى على قلبي وتحركت شفطاي قائلة: "ان قلبي ملآن بحبكم. أنا احبكم". صُعق الجنود من كلامي اكثر من صوت السحاب وسيطر الصمت على المكان. كانت لحظات الصمت بضع ثوان ولكني شعرت وكأنها ساعات طويلة. هل يضعون البنادق جانبا؟ بعد لحظات انتصر صوت المحبة على تهديد البنادق. وضع الجنود

بنادقهم جانبا وبدأنا بالحديث عن المسيح. قال الجنود لي "يا ليت كل العرب مثلك" قلت لهم يا ليتكم انتم مثلي. فاننا اصلي ان تقبلوا المسيا الذي وعدت به التوراة والانبياء والكتب. هو سيكسر حاجز العداوة ويجلب العدل والسلام.

لقد غير المسيح كراهيتي الى محبة. وقوى المسيح عضلات المحبة في عالم مليء بالكراهية. فعلمني أن المحبة قرار. ليست المحبة عواظفا متقلبة.

وفي الختام، ماذا عنك يا صديقي القارئ؟ لقد رأينا معا في هذا الكتاب هوية المسيح. انه خبز الحياة، ونور العالم، والراعي الصالح، وباب الخلاص، والقيامة والحياة، والطريق الوحيد إلى الأب، والكرمة الحقيقية. أين ستجد مثله ومن يستطيع ان يضاهيه؟ لقد اعلن المسيح نفسه حتى يزيل الشر منا ويجعلنا اولادا لله. وهنا اختتم بالآية القائلة "اما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا اولادا لله، اي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو 1: 12 - 13).

المراجع العربية

إدي، وليم. شرح انجيل يوحنا. الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، الجزء الثالث. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، 1973.

بباوي، وليم، المحرر المسئول. "الناصره". الصفحات 9-11 في الجزء الثامن من دائرة المعارف الكتابية. تحرير وليم بباوي، ومنيس عبد النور، وفايز فارس، واندرية زكي، وانور زكي. 8 اجزاء. القاهرة: دار الثقافة، 2001.

تيني، ميرل. يوحنا انجيل الإيمان: دراسة تحليلية للنص الكتابي. ترجمة هاني غبريال. جراند رابيدز: ايردمان، 1991.

الخير، عبد المسيح بسيط ابو. هل تتبأ الكتاب المقدس عن نبي آخر يأتي بعد المسيح؟ مسطرد: كنيسة السيدة العذراء، 2004.

زقزوق، محمود. "السلام في التصور الإسلامي: مفهوم السلام في العالم وضرورته"، في سلام للبشر. تنقيح اندراوس بثته وعادل خوري. بيروت: المكتبة البولسية، 1997.

سعيد، ابراهيم. شرح بشاره يوحنا. القاهرة: دار الثقافة، 1988.

فارس، فايز. احاديث الرحيل: قطوف من انجيل يوحنا. القاهرة: دار الثقافة، 1993.

فانوني، غونفريد. "جذور السلام في الكتاب المقدس والتقليد المسيحي"، في سلام للبشر. تنقيح اندراوس بثته وعادل خوري. بيروت: المكتبة البولسية، 1997.

الفغالي، بولس. انجيل يوحنا: دراسات وتأملات. دراسات ببيلية، ج 2. بيروت: الرابطة الكتابية، 1992.

الكتاب المقدس: ترجمة جمعية الكتاب المقدس. لبنان: جمعية الكتاب المقدس، 1993.

الكتاب المقدس: ترجمة فاندريك-سميث. القاهرة: دار الكتاب المقدس، 1999.

الكتاب المقدس: كتاب الحياة، ترجمة تفسيرية. القاهرة: جي سي سنتر، 1988.

كتناشو، حنا وكتناشو، دينا. اطلقوني: دور ومكانة المرأة في المسيحية. القدس: كنيسة الاتحاد المسيحي، 2002.

ماكلاود، أ. "انجيل يوحنا"، في تفسير الكتاب المقدس. تتقيح فرنسيس دافدن. الجزء الخامس. بيروت: مركز المطبوعات، 1954.

المراجع الأجنبية

Beasley-Murray, George Raymond. *John*. Edited by Bruce Metzger, David Hubbard and Glenn Barker. Word Biblical Commentary 36. Waco: Word Books, 1990.

Blomberg, C. L. *The Historical Reliability of John's Gospel*. Grand Rapids: InterVarsity Press, 2001.

Bridges, Linda. "John 4: 5-42," *Interpretation* 48 (1994): 173-176.

Burge, Gary M. *Interpreting the Gospel of John*. Grand Rapids: Baker, 1992.

Calvin, John. *Institutes of the Christian Religion* 2. Edited by John T. McNeil. Translated by Ford Lewis Battles. Philadelphia: Westminster, 1960.

_____. *Institutes of the Christian Religion* 1. Edited by John T. McNeil. Translated by Ford Lewis Battles. Philadelphia: Westminster, 1960.

Carson, D. A. *The Gospel According to John*. Grand Rapids: InterVarsity, 1991.

Chafer, Lewis. *Systematic Theology*. Vol. 7. Dallas :Dallas Seminary Press, 1948.

Cotterell, Peter. "Linguistics, Meaning, Semantics, and Discourse Analysis." Pages 131-157 in *A Guide to Old Testament Theology and Exegesis*. Edited by Willem VanGemeren. Grand Rapids: Zondervan, 1997.

Daube, David. *The New Testament and Rabbinic Judaism*. University of London: Athlone Press, 1956

Derickson, Gary. "Viticulture and John 15:1-6." *Bibliotheca sacra* 153 (1996): 34-52.

Dillow, Joseph. "Abiding Is Remaining in Fellowship: Another Look at John 15:1-16." *Bibliotheca sacra* 147 (1990): 44-53.

Dodd, C. H. *The Interpretation of the Fourth Gospel*. Cambridge: Cambridge University Press, 1953.

Erickson, Millard. *Christian Theology: One Volume Edition*. Grand Rapids: Baker, 1985.

Freed, Edwin D. "Egō Eimi in John 1:20 and 4:25." *Catholic Biblical Quarterly* 41 (1979): 288-291.

_____. "Who or What Was before Abraham in John 8:58." *Journal for the Study of the New Testament* 17 (1983): 52-59.

Granquist, Hilma. *Marriage Conditions in a Palestinian Village*. 2 vols. Helsingfors: Centraltryckeri och Bokbinderi, 1931-1935.

Griffith, Sidney Harrison. *Arabic Christianity in the Monasteries of Ninth-Century Palestine*. Burlington: Ashgate, 1992.

Grudem, Wayne. *Systematic Theology: An Introduction to Biblical Doctrine*. Grand Rapids: Zondervan, 1994.

Hanna, Eleanor B. "Biblical Interpretation and Sacramental Practice: John Calvin's Interpretation of John 6:51-58." *Worship* 73 (1999): 211-230.

Jones, E. Stanley. *The Christ of the Indian Road*. New York: Abingdon Press, 1925.

_____. *Mahatma Gandhi: An Interpretation*. Lucknow: Lucknow Publishing House, 1948.

Katanacho, Yohanna. "Christ is the Owner of Haaretz." *Christian Scholar's Review* 34 (2005): 425-441.

_____. "Investigating the Purposeful Placement of Psalm 86," Ph.D. Trinity International University, 2006.

Koester, Craig R. "John Six and the Lord's Supper." *Lutheran Quarterly* 4 (1990): 419-437.

Laney. "Abiding Is Believing: The Analogy of the Vine in John 15:1-6." *Bibliotheca sacra* 146 (1989): 55-66.

McArthur, Henry K. "Christology in the Predicates of the Johannine Egō Eimi Sayings." Pages 122-141 in *Christology in Dialogue*. Edited by Robert Berkey and Sarah Edwards. Cleveland: Pilgrim Pr, 1993.

McKay, K. L. "'I am' in John's Gospel." *Expository Times* (1996): 302-303.

Morris, J. C. *Jesus is the Christ: Studies in the Theology of John*. Grand Rapids: Intersity Press, 1989.

O'Donovan, Oliver. *The Desire of the Nations: Rediscovering the Roots of Political Theology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.

Richard Taylor. "The Legacey of E. Stanley Jones," *International Bulletin of Missionary Research* 6 (1982): 102-107.

Strack, H. L. and P. Billerbeck, *Kommentar zum neuen Testament aus Talmud und Midrash*. 2 vols. München: C. H. Beck, 1926-1961.

Strange, James. "Nazareth." Pages 1050-1051 in vol. 4 of Anchor Bible Dictionary. Edited by David Noel Freedman. 6 vols. New York: Doubleday, 1992.

Vanoni, Gottfried. "Schalom als zentrale biblische Botschaft." *Theologisch-praktische Quartalschrift* 141 (1993): 3-12.

Wright, N. T. *Jesus and the Victory of God*. Minneapolis: Fortress, 1996.

Yeago, David S. "The Bread of Life: Patristic Christology and Evangelical Soteriology. in Martin Luther's Sermons on John 6." *St Vladimir's Theological Quarterly* 39 (1995): 257-279.